## الفصل السابع

# وسائل الدعاية السياسية

---

**تمهيـــد :-**

تستخدم الدعاية السياسية وسائل كثيرة لتصل الى الجمهور المستهدف وتؤثر فيه وتختلف الوسائل المستخدمة وفقا للعوامل الآتية :-

- أهداف الدعاية .
- مضمون الدعاية .
- الخطة المرسومة .
- خصائص الجمهور المستهدف .
- المميزات الخاصة بوسائل الدعاية المختلفة .
- القدرات الفنية الخاصة بالقائمين على شئون الدعاية .

ولذلك اختلفت الوسائل الدعائية المستخدمة من عصر الى آخر ومن مرحلة الى أخرى الا أنها استهدفت جميعا مقارعة الحجة بالحجة والفكرة بالفكرة والوصول بالفكرة الى كل مكان يمكن الوصول اليه سعيا نحو اجتذاب الرجال والأنصار وأيضا لزيادة تعلق الناس بالسياسيين ورجال الدولة وبأجهزتهم الحكومية ومساعدتهم على الوقوف فى وجه المنافسة السياسية منذ الفتنة على عهد عثمان رضوان الله عليه .. ظهرت الأحزاب السياسية وتبلورت على بداية عهد الدولة الأموية لذلك فقد راح كل منها يبذل قصارى جهده لجذب الأنصار والمؤيدين لوجهة نظره . وطبيعى ألا يتم ذلك دون وسائل اعلامية واقناعية استهدفت للتأثير فى الناس وتغيير اتجاهاتهم .

ويرتبط نجاح كل من الدعاية والدعاية المضادة بمدى فعالية الوسائل المستخدمة والمتأمل للوسائل المستخدمة فى العصر الأموى يلحظ مباراة حقيقية بين الحزب الأموى والأحزاب الأخرى المتصارعة نحو استخدام كافة الوسائل الدعائية الممكنة .

ويؤخذ على الأمويين أنهم لو يكتفوا بمجرد الوسائل الاقناعية فقط وانما استخدموا الى جانبها كافة الوسائل العنيفة لاذابة الدعوة الشيعية والأحزاب الأخرى مثل القسوة والاضطهاد والتشريد والاستذلال والامتهان لمجرد الظن والسجن وهدم الممتلكات والقتل أحيانا . كما جمعوا بين الوسائل العلنية للدعاية والوسائل السرية .. وعاونهم فى ذلك أنهم يمتلكون المال والسلطة والمثابرة والقلوب الممالئة . أما بالنسبة للخوارج والشيعة والموالى . وهم الذين اتفقت كلمتهم على أن خلفاء بنى أمية مغتصبون ظالمون فقد اتفقت كلمتهم أيضا على مناهضتهم بالقوة أحيانا .. وبالاقناع أحيانا أخرى فى السر وفى العلن وكان حرصهم على استخدام كافة وسائل الدعاية السياسية المتاحة لا يقل عن حرص الأمويين .

ويمكننا تقسيم الوسائل التى استخدمتها الأحزاب المتعارضة للوصول الى جماهيرها والتأثير عليهم على النحو الآتى :-

أولا : الوسائل الأولية وهى :-

- الخطابة .
- البعثات والوفود .
- العهود والمبايعات .
- العملاء السريين .
- المناقشات والمناظرات .
- المؤسسات التعليمية .

ثانيا : الوسائل الثانوية وهى :-

- الرسائل .

- الشعـر .
- القصص .
- الكتـاب .
- المسـاجد .
- الرمـوز .
- الأعـلام .
- النقـود .

## أولا : الوسائل الأولية

### ١- الخطابة :-

" الخطابة مصدر خطب يخطب أى صار خطيبا . وهى على هذا صفة راسخة فى نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف فى فنون القول لمحاولة التأثير فى نفوس السامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم واقناعهم .. فالخطابة مردها التأثير فى نفس السامع ومخاطبة وجدانه واثارة احساسه للأمر الذى يراد منه ليذعن للحكم اذعانا ويسلم به تسليما " (٢٦) ، ولهذا فان غاية الخطابة الكبرى هى أن تحول الأفكار الذهنية الجامدة الى عواطف يشتعل بها السامع ويتصرف بتأثيرها تصرفا فيما لا قبل له به فيما يكون فى حالة اليقين العادى .. فالأفكار التى تقطن الذهن مهما سمت وشرفت فانها تبقى دون تأثير على تصرف الانسان اذا لم تنتقل من كونها فكرة يعيها فى ذهنه بلا مبالاة الى شعور راغم حى يحول الفكرة الجامدة الى عمل حاسم . وعلى هذا فالخطابة فى جوهرها أسلوب يعمد الى بث حالة نفسية أويقين وجدانى حاسم راغم لا يتمكن المرء أن يتحرر منه بل يندفع بتأثيره ويقوم بأعمال فائقة تبلغ فى أحيان كثيرة ما اتفق الناس على تسميته بطولة (٢٧) .

وقد عرف العرب هذه الأهمية للخطابة واعتمدوها الوسيلة الأولى للتأثير والاقناع وظلت لها هذه الأهمية على عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقد اعتمد عليها فى نشر الدين الجديد وفى شرح المبادئ التى نادى بها فى الجزيرة العربية . واذا تركنا عهد الرسول عليه الصلاة والسلام الى عهد الخلفاء الراشدين واستمعنا الى خطب الامام على كرم الله وجهه وجدنا أنفسنا أمام رجل يمثل درجة عالية من درجات البلاغة العربية لم يبلغها خطيب مسلم قبله ولا بعده باستثناء صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم . وكان الخلاف بين على ومعاوية من الأسباب التى وصلت بخطب الامام على كرم الله وجهه الى هذه الدرجة (٢٨) .

أما فى العصر الأموى فقد شاركت الخطابة فى الدعاية السياسية للأحزاب وكانت أداة فعالة فى أيدى المتنازعين كل يدلى بحجته التى تبين حقه فى الخلافة وأنه أولى من سواه بها . وكان زعماء الأحزاب فى الغالب ممن أوتوا طلاقة فى اللسان وقوة فى البيان .. وكان لكل حزب خطباؤه المدافعون عنه . وكما كثر شعراء بنى أمية كثر خطباؤهم أيضا فكان أكثر خلفائهم خطباء ولا سيما معاوية وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز ومن قادتهم وولاتهم زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف وعتبة بن أبى سفيان وخالد القسرى ومسلم ابن عقبة والمهلب بن أبى صفرة (٢٩) .

ومن الخطب الدال على هذا العصر وسياسيته وكان لها أثر كبير على المستمعين اليها خطبة للحجاج ابن يوسف لعب فيها الخيال دورا فى تمثيل العواقب تمثيلا ماديا عبر الخيال وكانت أول خطبة له بعد تعينه واليا على العراق . دخل المسجد ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال على بالناس .. فحسبوه هو وأصحابه خوراج فهموا به .. حتى اذا اجتمع الناس فى المسجد فكشف عن وجهه ثم قال :-

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا  متى أضع العمامة تعرفونى

صليب العود من سلفى نزار  كنصل السيف وضاح الجبين

أما والله فاتى لأحمل الشر كله وأجزوه بمثله وانى لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها .. وانى لصاحبها وانى لأنظر الىالدماء تترقرق بين العمائم واللحى .

هذا أوان الشد فاشتدى زيم قد لفها الليل بسواق حظم

ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر وعود مثل ذراع البكر أو أشد

وفى هذه الخطبة نجد أن الحجاج لم يتوسل إلا بالصور التى جسد بها مشاعره فهو لم يكتف بتهديدهم بالقتل لأن هذا التهديد أمر معتدل يسير يلمون به فى كل لحظة وقد تعفى تأثيره فيهم لهذا رأيناه يعمد إلى التخيل والتوهيم فإذا به ينتقل بالسامعين عبر الوهم والخيال من الواقع الذى يعيشونه فى المسجد إلى واقع خيالى آخر ظهرت فيه الدماء وهى تتسرب من بين العمائم والرؤوس الملتوية والأعناق .. هذا المشهد أشد رهبة من الكلام الذهنى العادى .إن رؤية التقتيل والبطش تروع السامعين فيما تعبر فى الآن ذاته بما يريد القائد الخطيب أن يعبر عنه . أما العاطفة فقد طغت وسيطرت منذ مطلع الخطبة مريدا يهددهم ويتوعدهم مثيرا فيهم أشد الأحوال ألما وأكثرها امتعاضا .

وهكذا فإن الحجاج لم يخاطب سامعيه بالبينة التى تقنعهم اقناعا عقليا هادئا مطمئنا بل تبعث أمامهم الصور المرعبة التى تبث فى نفوسهم حسن الهول والفجيعة (٣٠) .

أما بالنسبة للشيعة وهم أنصار الإمام على كرم الله وجهه فكان لهم خطباؤهم أيضا وكانت الخطابة أحد الوسائل الرئيسية التى توصلوا بها إلى نشر نظرية الحزب السياسية واجتذاب الأنصار والمؤيدين لها .. فعلى بن أبى طالب وأبناءه وأحفاده من بعده هم أهل الخلافة الحقيقيون وأصحابها الشرعيون لأنهم آل الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حق فيها لغير العلويين وأن الأمويين اغتصبوها منهم وينبغى أن ترد عليهم وأن الخلافة تنتقل بالوصية بين على وأبنائه المعصومين من الأئمة .

ولهذا كان خطباؤهم ينددون بحكم الأمويين واتخذوا من مقتل الحسين دليلا على ظلم بنى أمية لأنهم أستباحوا دم حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن خطبائهم الإمام على كرم الله وجهه والحسين بن على وسليمان بن حبرد وعبد الله المرى وزيد بن على وابنه يحيى وبنو صوحان وغيرهم (٣١) .

وإذا أخذنا إحدى هذه الخطب وحللناها وجدناها تعكس طبيعة الشيعة واختلافهم وترويهم وتخاذلهم عند مواجهة جند معاوية .

أغار سفيان بن عوف الأسدى بجيش من جيوش معاوية على الأنبار وقتل عامل على عليها فنقم الإمام على على جماعته وخرج إليهم وجعل يخاطبهم بقوله :

" أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وبث بالصغار والقماءة وضرب على قلبه بالأسداد ، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع القصف . ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا سرا وعلانية وقلت لكم : أغزوهم قبل أن يغزوكم .. فوالله ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا .. فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان .. فيا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم : اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم .. وتفرقكم عن حقكم .. فقبحا لكم ونزحا حين صرتم غرضا يرمى .. يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون .. فإذا أمرتكم بالسير إليهم فى أيام الصيف قلتم ( هذه حمارة القيظ أمهلنا ينسلخ عنا الحر ) وإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء قلتم هذه صارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد .. كل هذا فرار من الحر والقر .. فأنتم والله من السيف أفر .. يا أشباه الرجال ولا رجال .. أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال .؟ لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم معرفة .. والله جرت ندما وأعقبت تندما .. قاتلكم الله ؟ لقد ملائتم قلبى قيحا .. وشحنتم صدرى غيظا ، وجرعتمونى نقب التهام أنفاسا ، وأفسدتهم على رأيى بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ( إن ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله

أمرهم ؟ وهل أحد أشد لها مراسا ، وأقدم فيها مقاما منى ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع " .

ونلاحظ فى هذه الخطبة أن عناية الإمام بالأداء الفنى لم تصرفه عن العناية بالواقع النفسى كما أن عظته ونقمته عليهم لم يصرفه عن التوسل بما يثير عواطفهم المكبوتة ويصور لهم غباءهم وجبنهم . كما تراوحت الخطبة بين الترغيب والترهيب . فهو يبدأ بالتشويق والترغيب معتمدا فى ذلك العاطفة الدينية فى اتباعه .. وما توقظه فى نفوسهم من حنين إلى تلك الربوع الجميلة حين كانت تشوق صور الجنة فى خيالهم البعيد .. تلك كانت وسيلة الترغيب التى ألم بها الإمام القائد فى التأثير على مؤيديه .. ثم ما برح أن انتقل إلى الترهيب دون أن يشتد فيه ويلجأ إلى الصور المرعبة التى ظهرت فى خطب الحجاج وزياد (٣٢) .

أما حزب الخوارج فيعد من أكثر الأحزاب السياسية خطابة فلم يدع الخوارج لعقيدتهم سرا كما فعل الشيعة .. بل كانوا يعلنون مبادئهم جهارا ودون خوف .. وتحتفظ كتب الأدب وخاصة البيان والتبيين بمجموعة كبيرة من أسماء خطبائهم منهم .. قطرى بن الفجاءة .. ونافع بن الأزرق والمستورد بن أبى عقلمة وجندب الأيادى وأبو حمزة الخارجى وحبان بن ظبيان السلمى .. وغيرهم .

وكانت خطبهم تدور حول التنديد ببنى أمية لاغتصابهم الخلافة وسيرتهم الظالمة وتعطيلهم لأحكام الشريعة وبعدهم عما رسمه القرآن الكريم والرسول الأمين .

ولعل أروع خطبة للخوراج قيلت فى عبارة بليغة وبأسلوب فصيح وعاطفة جياشة وأداء قوى خطبة أبى حمزة الشارى التى ألقاها فى مكة بعد أن قدم إليها على رأس جيش عبد الله ابن يحيى الكندى من اليمن يرفع العمائم السوداء على رؤوس الرماح .. فأفزع الحجاج وكانوا واقفين بعرفات فى حج عام ١٢٩هـ . ولذلك أجلى له حاكم الحجاز محمد بن عبد الواحد بن سليمان مكة فدخلوها بغير قتال .. وفيها خطب أبو حمزة خطبته المشهورة وضح فيها رأى الخوراج فى الخلفاء الراشدين وفى ملوك بنى أمية وصور حياة

الخوارج أصدق تصوير .. فهم لا هم لهم إلا عبادة الله وإلا القتال ذودا عن مبادئهم . وهم يتلهفون إلى الاستشهاد في سبيله واثقون بخير الجزاء .. يقول " شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم .. ثقيلة عن الباطل أرجلهم أنقاء عبادة .. وأطلاح سهر .. قد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقا اليها .. وإذا أمر بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه "

وتميزت خطب الخوارج بأنها تجمع بين التأثير النفسي وقوة الحجة والعقيدة الدينية والنغمة الصوفية الحزينة إلى جانب صدق العاطفة وحرارة اللهجة وفصاحة اللفظ وطلاوة العبارة وقوة البيان وحسن التعبير .. وقد ذاع ذلك عنهم حتى قال فيهم عبيد الله بن زياد " لكلام هؤلاء أسرع إلى قلوب الناس من النار إلى اليراع " .

أما الحزب الثالث من أحزاب المعارضة فهو حزب الزبيريين اتباع عبد الله بن الزبير وكان من أهم خطبائه عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب وكان كلاهما خطيبا مفوها (٣٣) .

واضافة إلى خطباء الأحزاب السياسية كان هناك خطباء الثورات الذين ثاروا على الدولة الأموية ومنهم عبد الله بن حنظلة زعيم ثورة المدينة ضد يزيد بن معاوية ثم عمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق لفصاحته في خطابته .. وقد ثار على عبد الملك بالشام سنة ٦٩هـ . ثم عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته على الحجاج . ويزيد بن المهلب الذى ثار على يزيد بن عبد الملك . وخطب هؤلاء تدور كلها حول إثارة الناس ضد بني أمية وبيان ما في حكمهم من ظلم وما يأخذ به ولاتهم من عسف أنهم جميعا عطلوا أحكام الشريعة واستأثروا بالفئ(٣٤) .

ومن هذا يتضح لنا مدى أهمية الدور الذى لعبته الخطابة كأداة للتعبير عن الآراء السياسية وللتأثير على الخصوم واجتذاب الأنصار من قبل الأحزاب المختلفة في العصر الأموى .. والمتأمل في خطابة هذا العصر يجد قدرا كبيرا منها يتعرض للحياة السياسية العامة ويناقشها من وجهة نظره . وكانت الفتن معينا للقول وحافزا عليه .. يذكر المعترضون على بنى أمية مساويهم واجتزائهم على ذوى

الحق ويرمونهم بالخروج على الدين ويذكرونهم بماضى أسلافهم فى محاربة النبى صلى الله عليه وسلم . والأمويون من ناحيتهم يرمون هؤلاء بالبغى والخروج على الطاعة .

كما كان الخلفاء وولاتهم فى أشد الحاجة الى أن يبينوا للناس سياستهم ليأخذوهم بها.. إذ كانت نفوس المحكومين فى قلق دائم مستمر للخارجين .. وكان الخلفاء وأتباعهم يبينون حكمهم وعدالتهم وإحسانهم للناس إن أسلسوا القياد وأخلصوا ويرعدون ويبرقون ويهددون وينذرون من يخرج أو يحيد عن الجادة وقد كان صوت الترهيب أظهر فى البلاد التى نبتت فيها فتن كالعراق والحجاز وصوت الترغيب أوضح فى البلاد التى وادعت وسالمت بل عاونت وناصرت كالشام (٣٥) .

ويرجع الفضل فى ازدهار الدور الذى لعبته الخطابة فى مجال الدعاية السياسية للأحزاب إلى جو الحرية الذى اكتنف هذا العصر فاستطاع الخطيب أن يجهر برأيه فى الناس ولم يكن هناك بد فى ذلك العصر من كثرة الخطب لتلاحق الأحداث وأيضا للتأثير فى الناس . إذ كانت تقوم مقام الصحافة والإذاعة فى عصرنا الحاضر .

وقد سلمت للناس حريتهم القولية لعدة أسباب :-

السبب الأول :- أن معاوية مؤسس الدولة أعلن أنه يسوس الناس بالحلم وسعة الصدر والتجاوز عن المساءة القولية .. فهو القائل " والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه .. ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذنى .. وإن لم تجدونى أقوم بحقكم كله فارضوا منى ببعضه فإنها بقابية قوبيها .. وإن السيل إذا جاء يبرى . وإن قل أغنى " .

أما السبب الثانى فهو أن الأحزاب كانت تنعم بحريتها كاملة لأنها ليست فى قبضة الحكومة . وإذا كانت الحكومة قد حاربت الأحزاب فان هذه الحروب كانت تؤثر فى الخطابة وتفسح المجال أمام الخطباء .

والسبب الثالث يتلخص فى أن كثيرا من المنتمين إلى الأحزاب لم يكن يرهب من إعلان رأية ومواجهة الوالى أو الحاكم ..لأن من يشهر سيفه لا يتردد فى إعلان رأيه (٣٦) .

٢- الوفود والبعثات :-

عملوا بنى أمية على اكتساب الأنصار والأشياع عن طريق نظام الوفود الذى استحدثه معاوية بن أبى سفيان أسوة بالوفود التى جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مبايعة إياه بالرسالة مشهرين دخولهم بالإسلام .

وكان معاوية يطلب من عماله على الأمصار إرسال تلك الوفود سواء كانوا جماعات أو فرادى إلى عاصمة الخلافة دمشق . وفى أخبار أخرى كان يتوجه إلى هذه الجماعات بنفسه . وفى هذه اللقاءات كان للعقلية الجدلية دور كبير فى تغيير الحقائق فضلا عن التلويح بالمال والمناصب وهى حيلة معاوية التى عرف بها .

وقد استخدم معاوية هذا النظام لتمهيد السبيل لنفسه فى بلاد الشام عندما كان واليا عليها وفى إثارة الناس عقب مقتل عثمان ، وفى نزاعه مع على بن أبى طالب حول الخلافة ثم عند استخلافه ليزيد إبنه .. ملوحا بالعنف برغم ما عرف عنه من حلم وحيلة بعد ما أحسن بفشله فى اقناع الوفود بهذا الأمر .

ثم تطور نظام الوفود إلى نظام آخر سمى نظام أهل الجماعة وهو الآخر من استحداث معاوية بن أبى سفيان استثمره فى أخذ البيعة لنفسه بالخلافة وقد بنى هذا النظام على أساس دينى وهو العودة إلى سنة أهل الجماعة فى سقيفة بنى ساعده ما خلا فكرة الخلافة الوراثية.

ولعل فى اتباع معاوية هذا الأسلوب محاولة منه لإكساب الأمويين الشرعية حتى يتسنى له الاستيلاء على الخلافة والإبقاء عليها فى أهل بيته وتوريثهم إياها اعتمادا على أن رأس العائلة أى هو قد حظى بالشرعية عن طريق اجماع رأى أهل الجماعة عليه ومبايعتهم له .

وعرف أهل الجماعة فى التاريخ الإسلامى بأنهم الجمهرة الكبرى من أهل الإسلام الذين اجتمع رأيهم على متابعة أبى بكر وعمر وعثمان من بعده ثم عندما آل الأمر إلى بنى أمية دخلوا فى طاعتهم .

وكان من العوامل التى جعلت لرأى أهل الجماعة قوة جعلت معاوية يحرص على الاستمساك بها .. حديث رسول الله صلى اله عليه وسلم " لا تجتمع أمتى على ضلال "(٣٧) .

ثم كثرت الوفادة على الخلفاء والأمراء فى ذلك العصر لرفع شكاة أو لامتداح أو لاعلان النصرة والتأييد .. وقد يدعو الخليفة بعض الوفود إليه ليسدى إليهم يدا أو يعقد حبل مودتهم أو يستعتبهم على سابقة منهم .. والوفود عادة من كبار المتكلمين المجيدين يلقون كلامهم فى لسان مبين وقول حكيم وأسلوب محكم وإذا اعترض عليهم سددوا الجواب وأتوا بأحسن الخطاب . قال ابن عبد ربه فى الوفادة : إنها مقامات فضل ومشاهد حفل يتخير لها الكلام وتستعذب الألفاظ وتستجزل المعانى .. ولابد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذى عن قومه ينزعون وعن رأيه يصيرون (٣٨) .

ولم يكن أسلوب الوفود ينجح دائما فى تحقيق الإقناع وتغيير الآراء . فكثير ماكان الوفد يعود وهو أكثر تثبتا بآرائه وأفكاره بل ولديه صورة مخالفة تماما يعمل على نشرها والتأثير بها على الناس . ومن ذلك وفد المدينة الذى أرسله واليها إلى يزيد بن معاوية بدمشق .. ولما مثلوا بين يديه أكرمهم وأعظم جوائزهم غير أنهم رجعوا يثيرون عليه الناس ويقولون " إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين ويشرب الخمر ويعزف بالطنابير وتضرب عنده القيان . ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان " (٣٩) .

وعلى أية حال فإن نظام الوفود يعتبر أحد أشكال الاجتماعات التى تستخدمها الدعاية السياسية لتحقيق قدر كبير من التجاوب بين الداعية والجمهور . وحينما يضمن تجاوب مستمعيه يتحول الاتصال من مجال الدعاية إلى مجال الإستهواء . ويزيد من أثر الإستهواء المكان الذى تتم الاجتماعات فيه .. وكان هذا المكان فى الغالب قصر

الخلافة.. حيث يحاط الوفد بكافة ألوان الكرم والضيافة وحسن المعاملة .. كما كان الجو المحيط بالخليفة ونبرات صوته ومظهره العام وإشاراته وتلويحاته وما يبدو على محياه من تعبيرات كانت تتفاعل كلها لتحدث أثر السحر على نفوس السامعين الذين كانوا فى الوقت ذاته تلبى مطالبهم ويأخذون هداياهم ويعودون وقد غدا أكثرهم أكثر تأييدا للخليفة واقتناعا بوجهة نظره أو يلزمون جانب الحياد تقديرا لحسن المعاملة وكرم الوفادة .

أما البعثات فهى الوجه المقابل لأسلوب الوفود وهم أفراد من أهل الثقة يبعث بهم الخليفة أو الداعية إلى من يراد تبليغهم رسالته . وقد اعتمد المصطفى صلى الله عليه وسلم على هذه الوسيلة فى نشر الإسلام . ومن أوضح الأمثلة عليها بعثات الرسول عليه الصلاة والسلام إلى النجاشى ملك الحبشة وإلى كسرى ملك الفرس ... الخ وكانت هذه البعثات النبوية حركة إعلامية من أعظم ما عرف فى التاريخ وهى تشبه فى أيامنا هذه مع الفارق البعيد الزيارات الرسمية وغير الرسمية مما نعرفه من وسائل الإعلام الحديثة (٤٠) .

وقد برع الشيعة فى استخدام أسلوب البعثات لنشر الدعوة لهم وخاصة فى منطقة خراسان التى ازداد تذمر المسلمين فيها وسخطهم على الدولة الأموية كما ظهر الاعتقاد بأنه ليس ثمة صلاح لهذه الأمة إلا على يد أحد الأئمة من آل البيت . كما أدركوا أن الأمويين أصبحوا لا يعنون إلا بمصالحهم الشخصية دون مصلحة الذين أخذوا على عاتقهم نشره . وهنا أخذ أئمة الشيعة يعدون الدعاة ويوفدونهم فى شكل بعثات منظمة إلى جميع الولايات الإسلامية يحثون الناس على اعتناق العقائد الشيعية (٤١) . واستطاعوا من خلال هؤلاء الدعاة أن يضموا إلى صفوفهم الكثير من المعتدلين الذين سارعوا إلى الأنضمام إلى الدعوة الهاشمية وكانوا جنودا فى جيش أبى مسلم الخراسانى الذى قضى على الدولة الأموية وأنشأ مكانها الدولة العباسية .

٣- العهود والمبايعات :-

تعد العهود والمبايعات من الأشكال الأساسية التى اتخذتها الدعاية فى العصر الأموى . وقد ثار حولها كثير من الجدل والنقاش سواء من قبل الحزب الأموى أو الأحزاب المعارضة أو من قبل علماء المسلمين وذلك لارتباطهما بقضية من أهم القضايا التى شغلت الفكر الإسلامى وهى قضية الخلافة .

والبيعة بالمعنى السياسى هى عملية اختيار الخليفة وهى بمثابة عقد بينه وبين الأمة .. وهى مرادفة بالمفهوم العصرى لما يسمى بالانتخاب . وفى هذا المعنى يقول ابن خلدون (٤٢) : وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهدا جعلوا أيديهم فى يده تأكيدا للعهد فأشبه ذلك بفعل البائع والمشترى .. فسمى بيعة مصدر باع . وصارت البيعة مصافحة بالأيدى.

وهى أحد أشكال الاتصال الشخصى وتستهدف كما يقول الإمام الغزالى فى مؤلفه بعنوان الرد على الباطنية " جمع شتات الآراء فى مصطدم تعارض الأهواء . ولذلك فإن البيعة لا تصح إلا بموافقة الأكثرين من معتبرى كل زمان " (٤٣) ولهذا لا يكفى لها بيعة أهل الحل والعقد وإنما إجماع عموم المسلمين .

ويعتبر الامتناع عن البيعة أول شكل أخذته المعارضة الإسلامية وذلك قبل نشوء الأحزاب السياسية .. وكان ذلك بعد مقتل عثمان . حيث بويع على بن أبى طالب بالخلافة من قبل أكثر المهاجرين والأنصار .. إلا نفرا قليلا وقفوا حيارى لا يدرون ماذا يفعلون . ونفر آخر من أقرباء الخليفة المقتول من بنى أمية وقليلا من المهاجرين والأنصار الذين ساءهم أن يقتل خليفة المسلمين . وهؤلاء أخذوا موقفا معتزلا بعيدا عن الاشتراك فيما حدث (٤٤) .

أما العهود أو ولاية العهد فتعنى أن يقوم الخليفة باعتباره من أهل الاجتهاد باختيار خلفه . وولاية العهد بالمعنى الإسلامى يقتصر دورها على الترشيح فقط . ويشترط أن يستوفى المرشح للخلافة شروط الصلاحية .. وهى الكفاية الجسدية والإسلام والحرية

والذكورة والبلوغ والعقل والعدالة والكفاية العملية .. ولا يصح هذا الترشيح إلا بعد مبايعة باقى المسلمين (٤٥) .

وتختلف ولاية العهد بهذا المعنى الإسلامى عن ولاية العهد فى النظام الملكى الوراثى .. حيث يعهد الأمير أو الخليفة لأبنه أو لأحد أقربائه بالخلافة أو الحكم .. وهو هنا يستمد حقه ليس من بيعة المسلمين له وإنما من حقه فى الوراثة .

وقد حاول معاوية أن يدخل هذا المفهوم الجديد وواجه معارضة شديدة " وتمثل حزب المعارضة الذى أنكر البيعة ليزيد فى عبد الرحمن بن أبى بكر والحسين بن على وعبد الله ابن الزبير .. على أن معاوية لم يأبه لهذه المعارضة وكتب إلى عماله أن يمهدوا البيعة ليزيد فى الأمصار .. وأن يرسلوا إليه الوفود بدمشق لإعلان رضاها عن تلك البيعة .

واستعمل معاوية لتحقيق ذلك كل أنواع الحيل والدهاء فكان يعطى المقارب ويدارى المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعوا أبنه يزيد . أما بالنسبة للمعارضين عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن بن على فقد استخدم العنف معهم للبيعة ليزيد . جمعهم وخطب الناس وأقام على رأس كل رجل منهم رجلين .. ومع كل واحد سيف فان ذهب رجل منهم يرد على كلمته تصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما . ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبتر أمر دونهم ولا يقضى إلا عن مشورتهم وأنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد .. فبايعوا على أسم الله .. فبايع الناس (٤٦) .

وكانت البيعة ليزيد سببا فى انقسام المسلمين فريقين كبيرين راضين بالبيعة وساخطين عليها .. وهؤلاء الساخطون لم يكتموا سخطهم بل جهر به كثير منهم منذ اللحظة الأولى.. ثم مات معاوية وولى يزيد وخرج عليه الحسين بن على بالعراق ثم عبد الله بن الزبير بالحجاز وبدأت مرحلة أخرى من الحروب والثورات ضد الحكم الأموى.

وتزايدت المشكلة كثيرا عندما أصبحت ولاية العهد لاثنين أو أكثر فكانت عاملا من عوامل الهدم بتسلط الأمويين من أنفسهم وأول من فعل ذلك مروان بن الحكم إذ أوصى بولاية العهد إلى ابنه عبد الملك ثم إلى أخيه عبد العزيز من بعده .. فلما تولى عبد الملك أراد أن يعزل أخاه عبد العزيز ويحول ولاية العهد إلى ابنه الوليد لولا وفاة عبد العزيز فصفا الجو مؤقتا (٤٧).

وظلت البيعة كمفهوم سياسى تعنى الطاعة والولاء والخضوع للخليفة والامتناع عن البيعة يعنى رفض التبعية والثورة . وكان للصفوة دور سياسى كبير فى إعلان البيعة أو الامتناع عنها نظرا لما لهم من تأثير كبير على باقى المسلمين . ولما تتضمنه أيضا إمكانية استغلالها فى الدعاية فى الأمصار الأخرى لسوق الناس سوقا إلى المبايعة . ولعل هذا يفسر لنا سبب حرص معاوية على مبايعة الصفوة أو سادة المسلمين الذين مثلوا جبهة المعارضة ليزيد.

ولم يكن الأمويون وحدهم هم الذين يحرصون على أخذ البيعة وإنما أحزاب المعارضة أيضا . فقد بايع الشيعة الحسن بن على بالخلافة .. وكان زعماء المعارضة يأخذون البيعة لأنفسهم من أتباعهم ثم صارت البيعة تؤخذ سرا على الأخلاص التام للإمام والطاعة العمياء لأوامره . وذلك منذ الدعوة الهاشمية . وكان دعاتها يبايعون الناس على السمع والطاعة للرضا من آل محمد . وما زالت الدعوات السياسية والدينية تأخذ بهذا الشكل وتعتبر البيعة دليل التبعية والولاء .

٤- الدعاة السريين :-

تعتمد الدعاية السياسية فى كثير من الأحيان على العملاء السريين لنشر أفكار معينة أو لتحقيق أهداف لا يستطيع الداعية الإفصاح عنها بسبب خوفه من السلطة القائمة أو من الجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية . وذلك عندما يتعارض مضمون الدعاية مع قيمة وأفكاره .

ويعرف " لملى " الدعاية بأنها ترويج مستترا أو خفى لرسائل تخفى عن الجمهور المستهدف مصدرها وأفكارها والأساليب التى تستخدمها والمضمون الذى تروج له والنتائج المترتبة عليها .. ويصبح السلوك أو النشاط دعاية إذا تم إخفاء عامل أو عاملين من هذه العوامل الخمسة"(٤٧) .

وعلى أساس عنصرى السرية والعلنية يقسم العلماء الدعاية الى قسمين :

- الدعاية السوداء أو المقنعة أو المحجبة أو المستترة وهى التى تخفى غرضها ومصدرها .

- الدعاية البيضاء وهى الدعاية المكشوفة أو السافرة وهى التى يبين فيها الداعية عن نفسه ويظهر غرضه (٤٨) .

وفى الغالب يختار الداعية واحدة من هاتين الطريقتين فالدعاية المكشوفة تستخدم حينما تساعد على تعلم الاتجاه الجديد أو حينما يكون الإخفاء غير ممكن لأسباب عملية. أما الدعاية السوداء فحينما تحتوى الدعاية على افتراءات ويكون الغرض إقناع الخصوم بأن ما يسمعونه أو يرونه حقيقة واقعة .

وقد استفاد جوبلز من هذا الشكل فى الدعاية .. فقد أنشأ جهازا سريا للدعاية . فإذا أراد نشر أى أخبار فإنه كان يعمد فى الحال إلى توزيع هذه الأخبار .

وعلى الرغم من هذا الجهاز السرى للدعاية .. فان هتلر قد أقام حزبه على أساس العلنية ورفض أن ينظمه على أساس سرى حتى لا يكون ضده جماعات سرية (٤٩) .

وإذا انتقلنا إلى الحضارة الاسلامية وجدنا أسلوب العملاء السريين ممثلا فى الحركات السرية التى استهدفت التأثير على عقول الناس بغرض تحويل معتقداتهم الدينية إلى معتقدات جديدة . ففى مبادئ الأزادمردية وهم شيعة . نجد مخططا ثوريا يمعن فى الهدم وسحق جميع المبادئ عن طريق تزييف الأحاديث ونشر مبادئ

الإلحاد والإباحية بين العامة وكانت الثنوية مذهبا آخر استعمله عبد الله بن ميمون القداح أما دعاته فقد تظاهروا باعتناق آراء سامعيهم .. أى أنهم يظهرون فى أثواب مختلفة ويحدثون كل طبقة باللغة التى تروقها وأخذوا يسيطرون على الجميع بأعمال الشعوذة ويثيرون شغف الناس بالألغاز والأحاجى الخفية . ويتحجبون أمام المؤمنين بقناع الزهد والفضيلة ويتظاهرون أمام الصوفية بأنهم صوفية . وقد أسفرت هذه الوسائل التى كانت تهدف إلى السيطرة على أذهان المجتمع عن نتيجة هامة وهى أنهم استغلوا أسوأ استغلال فى تحقيق غاية لا يعلمها سوى القليل من الدعاة .

وهناك حركة أخرى مشابهة من حركات الباطنية هى الإسماعيلية لعبت دورا كبيرا فى التأثير على عقول البشر بطريقة مثيرة هى حركة الحشاشين . وقد حشدت هذه الطائفة جموع البسطاء والدهماء باسم الدين لتحقيق أغراض سياسية . واعتمدت فى محاربة خصومها على الاغتيال الخفى المنظم بأكثر مما اعتمدت على الحروب العلنية . وكان الذى نظم هذه الحركة ووضع برنامجها هو الحسن بن على المعروف بالصباح (٥٠).

ومن الأمثلة الهامة على عهد الدولة الأموية التى اعتمدت على العملاء السريين ويرجع اليها الفضل فى قيام الدولة العباسية الأسلوب الذى استخدمه الشيعة بعد مقتل الحسين بن على والذى تبلور بانتقال الدعوة إلى آل العباس .

ومن حسن سياستهم أنهم لم يظهروا أغراضهم وادعوا أن غرضهم هو قلب الحكومة القائمة والقضاء على الدولة الأمويين ولم يكن يظهر منهم ما يشعر بأنهم يطلبون الخلافة لأنفسهم .. فلم تكن تؤخذ البيعة (٥١) باسم العباسين بل كانت تؤخذ لشخص غير معين من آل البيت زمر إليه بالرضا من آل محمد .

وقد بزغت هذه الدعوة فى الكوفة ثم انتقلت بعد زمن يسير إلى أقليم خراسان حيث يعيش الموالى من الفرس الذين أغضبهم كره الدولة الأموية للموالى وحبها للعرب.. فتواصوا فيما بينهم على قلب الدولة العربية النزعة . ولذلك كان أكثر هؤلاء الموالى من الشيعة الذين عرفوا بحب آل البيت . وكانوا يعتقدون وهم يدعون للرضا من

آل البيت أنهم أبناء على .. وأما العباسيون فيعنون بآل البيت أبناء العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وبقى كل فريق يضمر فى نفسه ما يعنيه . وسارت الدعوة فى طريقها السرى البحت حتى تجاوزته إلى طريق العلن البحت . وهنا فقط أظهر العباسيون أنهم يقصدون أنفسهم بآل البيت ، وزعم زعيم الموالى إذ ذاك أن الدعوة صائرة على ما يكره إلى بنى العباس . وليست إلى أولاد على.. فأبطأ أول الأمرفى إعلان الخلافة وتلكأ فى مبايعة أبى العباس السفاح بالخلافة فى ربيع الأول سنة ١٣٢هـ (٥٢). وهكذا كان للدور السرى للدعاة السريين فى هذه الحادثة التاريخية الكبيرة الأثر الأكبر فى سقوط دولة الأمويين وقيام دولة بنى العباس .

٥- المناقسات والمناظرات :-

أغلب الآراء التى ينتمى إليها الانسان عادة هى ثمرة نقاش الأفراد والجماعات . فكل إنسان ينتمى إلى جماعة من الأصدقاء والمعارف الذين يناقشون القضايا العامة ثم يصلون بعد المناقشة إلى التعبير عن آرائهم للأغلبية والأقلية . وبداية الرأى العام ترجع أحيانا الى الجماعة الصغيرة التى تحيط بالفرد من أصدقائه ومعارفه . والدعاية بمحاولتها التأثير على الرأى العام تتدخل بتحديد مجالات النقاش والموضوعات المثارة . كما تحاول التأثير على الآخرين ودفعهم لاتخاذ وجهة معينة. والمناقشات لهذا تعد من أكثر الطرق وأقدمها شيوعا فى تقدم الآراء والتعبير عنها وذيوعها بين الناس .

وتوجد أنواع عديدة من المحادثات بين الناس .. فهناك محادثات الجماعات التى تلتقى بالمصادفة ومحادثات الجماعة حول مائدة الطعام واغتياب الجماعة للأفراد الغائبين عن مجلسها . وقد يتحول هذا الاغتياب إلى حملة همس منظمة تصل إلى معظم أفراد المجتمع . وتعتمد أحيانا على الشائعات التى يطلقها بعض المغرضين أو التى يكون لها بعض الأساس من الصحة ولكنها تعرضت أثناء تداولها للكثير من التضخيم والتغيير إما عن قصد أو عن غير قصد .

ومهما يكن موضوع الحديث بين الناس فلابد أن يتصل بالناحية الشخصية ويعبر عن الرأى الشخصي ويستميل الأشخاص .. وقد يكون لكل إنسان بعض التأثير من ناحية قيادة محدثه أو محدثيه (٥٣)

ونظرا لنمو العقل العربى وازدهاره على عهد الدولة الأموية وللتصارع الفكرى والسياسى والعقائدى بين الأحزاب المختلفة والحرص على اجتذاب الأنصار والمؤيدين غدت أشكال الاتصال من أمثال الحوار والمناظرة من الأشكال الشائعة على امتداد مساحة الدولة الإسلامية . وخاصة فى مدينتى البصرة والكوفة .. كنت تستمع إلى المحاورات والمناقشات فى المجالس والطرقات والأسواق والمساجد يديرها الشعراء والفقهاء والدعاة والساسة كل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويعد أدلته ويبحث فى كل أدلة خصمه لينقضها .

وقد برع الخوارج فى هذا اللون وانتقلوا به إلى كل مكان . وجدالهم مع الإمام على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس مشهور ويروى أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فجعل يبسط له من قولهم ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة . حتى قال(٥٤) عبد الملك لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة خلقت لهم وأنى أولى بالجهاد .. ثم رجعت إلى ما ثبت الله على من الحجة وقرر فى قلبى من الحق . وهذا رجل من عامتهم فما بالنا بزعمائهم .. ويشيد المبرد فى كتابه الكامل بقدرتهم على الجدل واستظهار الأدلة والبراهين . على أنهم من ناحية أخرى كانوا ضحية هذا الجدال فقد انقسموا إلى فرق عديدة : أزارقة ونجدية وصفرية وأباظية وقد شكا زيد بن جندب من هذا الاختلاف فقال (٥٥) .

كنا اناسا على دين ففرقنا  طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم  عن الجدال وأغناهم عن الخطب

وقد واجه الأمويون حركة المناقشات والجدال هذه بنفس السلاح . فنجد عمر بن عبد العزيز عندما ثار الخوارج فى عهده . لم يشأ أن يسلك معهم سبيل العنف والشدة كما فعل عمه عبد الملك من قبل ولكنه لجأ إلى مقارعتهم الحجة بالحجة وقد نجح فى اقناع

الرسل الذين أرسلهم إليه زعيم الخوارج ولكن المنية قد عاجلت عمر فلم يجن ثمار ما تم (٥٦) .

وكان هناك ما يسمى بالمجالس الخاصة وهى التى يدعو إليها الخليفة بين حين وآخر نفرا من الصحابة أو التابعين أو من بعض العلماء المعروفين يسامرهم فى الأدب والفقه والسياسة والأخبار لينتفع بآرائهم فى وجوه السياسة والإدارة أو ينظر فى الحقيقة إلى حاجة الدول الإسلامية فى أقطارها المختلفة .

وكان الشيعة أيضا كالخوارج ينافحون عن عقيدتهم ، واختلفوا هم الآخرون وتجادلوا فيما بينهم . وجادلوا أصحاب الفرق التى عاصرتهم وممن أشتهر بإحسانه للجدال منهم زيد بن على بن الحسين مؤسس مذهب الزيدية الشيعى وقد تحول شاعره الكميت بأشعاره الملقبة بالهاشميات إلى تقرير نظرية هذا المذهب . وكأننا لا نقرأ عنده شعرا . وإنما نقرأ مقالة فى المذهب الزيدى .. تبسط أصوله وتدافع عنه بالحجج والبراهين.

وقد انعكست هذه المناقشات والمناظرات على الدين فوجدنا الفقهاء يتجادلون طويلا فى مسائلهم الفقهية بين أيدى الخلفاء فى مجالسهم العامة والخاصة .. كما تجادلوا فى مسائل العقيدة وسرعان ما أخذ علم الكلام فى الظهور وتكونت فيه مذاهب القدرية والجبرية والمرجئة والمعتزلة وتجادل أصحاب كل من المذهبين القدرية والجبرية .. وتبنى الأمويون مذهب القدرية لأنهم يرضيهم ويصرف الناس عن التفكير فى ولاتهم وتدبيرهم لشئونهم مؤمنين بأن هذا قدر مقدور يجب عليهم التسليم به .

وانبعثت من هذا المذهب ومذهب القدرية شعبة المرجئة وكانوا يرون إرجاء الحكم على أعمال الناس وتركهم إلى الله عزوجل .. وقد جعلهم ذلك يصطدمون بالدولة لما تنتهى إليه دعوتهم من تعطيل أحكام الدين وأوامره ونواهيه . ولأنهم كانوا يستحلون دماء المسلمين .. فكان الأمويون يتعقبونهم ويقتلونهم وذلك على نحو ما فعل هشام بن عبد الملك لغيلان الدمشقى .

كما انبثق من مذهب القدرية مذهب جديد هو الاعتزال كانت دعامته الأساسية هى الجدال والمناقشات . وساعده على ذلك اعتماده على المنطق وأدلته الدقيقة وعلى الفلسفة واستفادوا من دراساتهم المستفيضة لآى القرآن الكريم .. وكانت المشكلة الأولى التى انبثق منها هذا المذهب هى مرتكب الكبيرة إذ كان الخوارج يرون أنه كافر بينما المرجئة ترى أنه مؤمن .. وكان الحسن البصرى ومن تابعه من القدرية يرون أنه مؤمن فاسق فأظهر واصل ابن عطاء القول بأنه غير مؤمن ولا كافر بل هو فى منزلة بين المنزلتين . وأثار ذلك جدالا عنيفا بينه وبين أصحابه من القدرية . ودفع الحسن عمرو بن عبيد ليجادله فيه فأقنعه واصل برأيه وبذلك فارقا معا مذهب الحسن وسمياهما ومن تابعهما باسم المعتزلة (٥٧)

وكانت المساجد ساحة أساسية لهذه المناقشات والمناظرات السياسية وساعد انتشارها فى كل أنحاء العالم الإسلامى على نجاح هذا الشكل من أشكال الاتصال الدعائى فى تحقيق أهدافه من حيث اجتذاب الأنصار والتأثير على الخصوم لكافة الأحزاب المتصارعة.

كما كانت هناك أيضا المنتديات الفكرية فى قصور الخلافة وبمحضر من الخلفاء حيث تأتى الوفود لتعلن ولاءها تارة وظلامتها تارة أخرى وثالثة لتقدم أفكارها وأشعارها وخطبها التى سرعان ما تنتشر فى أنحاء الدولة الإسلامية .

وإضافة إلى ذلك كانت هناك الأسواق سوق المربد فى البصرة والكناسة فى الكوفة وقد تحولتا إلى سوقين أدبيتين ينشر فيها الشعراء يوميا قصائد الهجاء التى تسر الجماعة وتسرى عنها وتستغرق أوقات فراغها . وظهر بالتالى فن النقائض وهو نوع من المناظرات الشعرية اعتمدت على المنطق وطرق الاستدلال والبرهنة والقياس مما كان يستعمله علماء المنطق والفلسفة والكلام والفقه فى محاوراتهم ومناظراتهم ويرجع السبب فى ازدهار فن النقائض إلى سياسة بنى أمية ورغبتهم فى إحياء العصبيات وإثارتها ليصرفوا الناس عن المطالبة بالخلافة والنظر فى سياستها . فأثاروا عصبية العرب ضد العجم والموالى وعصبية العدنانية على القحطانية وعصبية بنى أمية على بنى هاشم وعصبية القبائل المناوئة لهم

على الموالية وكانوا يبذلون العطاء لإثارة هذه العصبيات . وكان من نتيجة ذلك أن اطمأنت الدولة سياسيا . ولكن هذا الاطمئنان لم يدم طويلا .. فقد نخرت العصبية فى نظام الدولة بعد ذلك فهدمت أركانها وعجلت بسقوطها (٥٨) .

ومن نماذج هذا اللون من الحوار ما كان بين معاوية وعبد الله بن الزبير .. قال معاوية لابن الزبير : تنازعنى هذا الأمر كأنك أحق به منى . ابن الزبير : لم لا أكون أحق به منك يا معاوية .. وقد اتبع أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان واتبع الناس أباك على الكفر . معاوية : غلطت يا ابن الزبير . بعث الله بن عمى نبيا فدعا أباك فأجابه فما أنت إلا تابع لى ضالا كنت أم مهديا (٥٩)

ومنها أيضا ما كان بين معاوية وعقيل بن أبى طالب . قال معاوية لعقيل : إن عليا قطعك ووصلتك .. ولا يرضينى منك إلا أن تلعنه على المنبر . قال : افعل . وصعد المنبر وقال : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه ، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل فقال له معاوية : إنك لم تبين من لعنت . قال والله ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام على نية المتكلم (٦٠) .

٦- المؤسسات التعليمية :-

يعد التعليم من أهم المهام للمؤسسات التعليمية وهو أيضا أحد الأشكال الأساسية التى تتخذها الدعاية للتأثير على الأفراد والهدف الأساسى للتعليم هو تكوين الشخصية المتكاملة . بمعنى أنه لا يبنى عقلية الفرد وروحه فقط .. وإنما يبنى أيضا خلقه وذوقه . كما ينقل التعليم إلى الأفراد ميراثا اجتماعيا وتقليديا وثقافيا ليس للشخص دخل فيه .

والدول ذات الحكم المطلق لا تعترف بالتفرقة بين التعليم والدعاية وترى تسخير التعليم لتدعيم النظام القائم .. وفى هذه الحالة يصبح هدف المعلم الداعية أن يعلم الفرد كيف يفكر ويدخل فى ذهنه آراء كلها معدة وجاهزة (٦١) . وهنا نجد الدعاية متداخلة فى كل برامج التعليم وهى تنتهز فرصة إعداد النشئ ونقل التراث

من جيل إلى جيل وتكوين شخصية المواطن وتربيته جسميا وعقليا وروحيا لكى ترسب فى نفوس التلاميذ والشباب ما تريد أن ترسبه من معتقدات . وهكذا تستطيع الدعاية أن تخضع الأفراد منذ نعومة أظافرهم لأغراضها .. وتجعلهم أسرى لطائفة من الأفكار والشعارات والمعتقدات التى لا يستطيعون فكاكا منها . وهى بذلك تقضى فى كثير من الأحيان على صفاء الفطرة وسلامة الشخصية الإنسانية (٦٢).

ويذكر التاريخ للفاطميين أنهم أول من أسسوا معاهد رسمية للتأهيل المذهبى للدعوة الفاطمية وقد تركزت هذه المؤسسات فى القصر الفاطمى والمساجد ودار الحكمة (٦٣).

أما بالنسبة للدولة الأموية فلم يكن هناك مؤسسات رسمية بالمعنى المتعارف عليه الآن. وكان هناك علماء وأدباء ومفكرون يمارسون شئون التعليم فى المساجد الكبرى بعضهم بوازع من نفسه وضميره . ولا يتقاضى عن عمله أجرا والبعض الآخر معين من قبل الدولة لممارسة الشئون التعليمية فى المساجد الكبرى وانعكست المذاهب السياسية التى يدين بها هؤلاء العلماء على تعاليمهم وأفكارهم وما أنتجوه من كتب ومؤلفات ومن أعدوهم من تلاميذ .

فبالنسبة لعلماء الحديث نجد تأثر روايتهم للحديث بالسياسة خاصة زمن الدولة الأموية . ولذا فإن الأحاديث النبوية التى كانت تنتقص من بنى أمية تروى خارج الشام . والأحاديث التى تمجد أو تعلى شأن الأمويين كانت تروى فى الشام (٦٤) .

كما استغل التفسير أيضا لأغراض سياسية للإشادة بفضل بعض المدن . فكعب الأخبار والذين تأثروا به كانوا يرون فى قوله تعالى : " والتين والزيتون " قالوا التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس(٦٥)

وكان لعلماء الفقه أيضا بعض الممارسات السياسية الناتجة عن الأحكام القرآنية والأحاديث النبوية . كما وصل الأمر إلى أن أصبحت السياسة تتدخل فى المذاهب الإسلامية. وكان الخليفة يحمل الناس على مذهب معين دون غيره (٦٦) .

وقد انعكس هذا الطابع السياسى أيضا على علماء الخوارج الذين مزجوا أفكارهم السياسية بالأبحاث الدينية فقالوا إن العمل بأوامر الدين من صلاة وصيام وصدقة وعدل جزء من الإيمان . وليس الإيمان الاعتقاد بالله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وحسب . فمن اعتقد أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله ثم لم يعمل بما يفرضه الدين وارتكب الكبائر فهو كافر (٦٧) .

فالمسجد كان المؤسسة التعليمية الأولى على عهد الدولة الأموية وكان يستثمر كمجلس لاجتماع العلماء وكمدرسة للتعليم يتلقى فيها الأطفال اللغة العربية وأصول الدين واتخذها القضاه مكانا لعقد جلساتهم وكانت للسياسيين منتديات فكرية يبثون من خلالها أفكارهم وعلومهم ممزوجة بالسياسة إلى عقول الأطفال الناشئة ويتجاذبون أطراف الحديث حولها مع الكبار بحيث يمكن القول أن الدعاية السياسية والتعليم اختلطا ببعضهما نتيجة للارتباط الذى حدث فى الإسلام بين الدين والسياسة . وكانت اجتهادات العلماء تحركها الرغبة الخالصة والاجتهاد لما فيه صالح المسلمين . وكان المسجد هو محور ارتكاز هذا النشاط على عهد الدولة الأموية .

## ثانيا :ـ الوسائل الثانوية

تشتمل الوسائل الثانوية على ما يلى :ـ

١- الرسائل :-

من أهم الوسائل التى استحدثتها للدعاية على عهد الدولة الأموية وهى وسيلة إعلامية هامة . تصل الخليفة بعماله وتصله بجنوده فى ميدان الجهاد . كما أنها حلقة اتصال بين الخليفة ورعيته. لذلك كان صاحب ديوان الرسائل يحتل المكانة الممتازة بين سائر الدواوين الأخرى . وقد شرف الله تعالى معاوية بن أبى سفيان أول الخلفاء الأمويين حين جعله كاتبا للرسول عليه الصلاة والسلام(٦٨) .

والرسائل وسيلة لجأ اليها المسلمون لبث شكواهم وشرح معاناتهم للخليفة من ظلم بعض الولاة . يروى أن الحجاج بن يوسف قابل الصحابى الجليل أنس بن مالك رضوان الله عليه وأسمعه تهديدا ووعيدا قال أنس بعده : إنا لله وإنا إليه راجعون . وقد لجأ أنس بن مالك إلى الخليفة عبد الملك بن مروان وبعث إليه برسالة جاء فيها " ولم أكن له منك ومنه أهلا فخذ لى على يديه وأغنى . فإنى أمت عليك بخدمتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتى إياه والسلام عليك ورحمة الله . فرد عليه الخليفة : أما بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمت ما كتبت من شكايتك الحجاج وما سلطته عليك ولا أمرته بالإساءة إليك فإن عاد إلى مثلها فاكتب إلى بذلك .. أترك به عقوبتى وتحسن له معونتى . وكما كانت الرسائل حلقة اتصال بين الخليفة وعماله فقد استخدمت أيضا كوسيلة للاتصال بالخصوم والمعارضة وذلك للتعبير عن وجهات نظرهم أو للرد عليهم وكذلك لمحاولة التأثير عليهم وتغيير آرائهم . وخير مثال على ذلك رسالة معاوية إلى عبيد الله بن عباس يغريه بالانضمام إليه . وذلك أن الحسن لما عزم على الحرب أرسل أمامه جيشين يقود أحداهما عبيد الله بن عباس ويقود الآخر قيسَ بن سعد وقد تمكن جيش عبيد الله بن عباس من صد هجمات جيش معاوية . فلما كان الليل أرسل معاوية رسالة مع رسول يدعوه فيها إلى الانضمام إليه ويعده

ويمنيه ونجحت خطة معاوية وانضم عبيد الله بن عباس إلى معاوية في الحال وترك قيادة جيشه وفيما يلي نص الرسالة: إن الحسن قد راسلني في الصلح .. وهو مسلم الأمر إلى .. فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعا وإلا دخلت وأنت تابع ولك إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم يعجل لك في هذا الوقت النصف وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر " (٧٠) .

ومن الرسائل التي استخدمت للدعاية وإن كانت في حد ذاتها موضع تساؤل . رسالة ملك الروم إلى معاوية وجوابها فالقصة كلها يقصد بها تمجيد العباسيين وذلك بتمجيد جدهم عبد الله بن عباس الذي عرف وحده جواب الأسئلة الموجهة من قيصر إلى معاوية . والتي عجز عنها الجميع .. فأرسلها معاوية إلى بن عباس الذي عرف أجوبتها . وأرسلها إلى معاوية الذي أرسلها بدوره إلى ملك الروم فلما وصلت الأجوبة عرف أن ذلك ليس من عند معاوية وإنما ما خرج هذا إلا من أهل بيت النبوة (٧١) . والقصة كلها تحمل طابعا إسلاميا وقد وضعت في العصر العباسي على ما يظن وذلك بغرض إضفاء رواء وعظمة على ابن عباس الحبر العالم العلامة وجد العباسيين . لكنها تعطي دلالة على الدور الذي لعبته الرسائل في مجال الدعاية السياسية في ذلك العصر .

كما استخدمها دعاة العباسيين لترويج دعوتهم لا سيما في مرحلتها السرية إبان السنوات الأخيرة لحكم الأمويين . فقد كانت الرسائل بما تحمله من توجيهات وأفكار تتناقلها أيادي الدعاة العباسيين وهي تحكي لهم آخر ما وصلت إليه دعوتهم . وكان ذلك يجري في سرية تامة . فقد كانت أولى الكلمات التي نطق بها الإمام محمد بن علي بن عبد الله العباسي " انطلقوا أيها النفر فادعوا الله في رفق وستر .

وبعد فترة قصيرة أبلغ الدعاة العباسيون إمامهم بأنهم غرسوا بخراسان غرسا يرجون أن يثمر في أوانه .. وكان دعاة العباسيين ينتظرون بفارغ الصبر ورود رسائل الإمام محمد ابن علي إليهم . وكان لكلماته التأثير القوي عليهم .

فقد أسند الامام محمد بن على مهام الدعوة فى العراق إلى بكير بن ماهان وكان يكنى بأبى هاشم . وبها كان يعرف فى الناس . وكان رجلا مفوها . فقام بالدعاء وتولى الدعوة بالعراق . وكانت كتب الإمام تأتيه فيغسلها بالماء ويعجن بغسالتها الدقيق ويأمر فيختبز منه .. ولا يبق أحد من أهله وولده إلا أطعمه منه .

وقد يكون أبو هاشم قد فعل ذلك تبركا برسالة الإمام ولكن الأرجح أنه كان يفعل ذلك تأكيدا للسرية وإمعانا فى اخفاء الرسائل عن عيون الرقباء . والحق أن الرسائل قد قامت للدعوة العباسية بدور هام وخطير . وقد قلده الخمينى فى ثورته على الشاه باستخدام التسجيلات الصوتية التى كان يبعث بها من باريس إلى أتباعه ومريديه فى طهران وسائر بلاد إيران حيث كان يعاد تسجيلها وترويجها بين الناس (٧٢) .

فالتأثير الذى تحدثه الرسالة فى النفوس كبير . ومن الأمثلة التى تؤكد ذلك ما يروى عن عبد الحميد الكاتب أنه بعث برسالة إلى قائد الجيش العباسى قبل المعركة الفاصلة فامتنع القائد العباسى عن استلامها وقراءتها وقال لمن معه خشيت أن أقرأها فيصرفنى عما أنا فيه " مما يدل على سحر الكتابة وقدرتها على تغيير الآراء (٧٣) .

ومن الرسائل السياسية ذات الصبغة الدعائية والتى أسفرت عن مقتل خليفة وبذرت بذور الشقاق والفتنة فى المجتمع الإسلامى لمئات السنين . رسائل عبدالله بن سبأ وأتباعه الذين أخذوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها فى غيب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر إلى المصر الأخرى بما يصنعون . فيقرأه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبذلون . فيقول أهل كل مصر إنا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء الناس إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن طريق جميع الأمصار . فأتوا عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين يأتيك عن الناس الذى يأتينا فقال : لا والله ما جاءنى إلا السلامة .. فأخبروه بما جاءهم فأشاروا عليه أن يبعث إلى الأمصار من يستقى أخبارهم ويعلم ما فيها فندب لذلك رجالا وسيرهم إلى الأمصار . فسير محمد بن مسلمة إلى

الكوفة . وأسامة بن زيد إلى البصرة . وعبد الله بن عمر إلى الشام .. وعمار بن ياسر إلى مصر .. وفرق رجالا سواهم فى البلاد الأخرى . فأقبل جميعهم إلا عمارا فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم . أما عمار فقد ورد عثمان كتاب من عبد الله بن سعد أمير مصر يخبره فيه أنه قد استماله قوم بمصر وانقطعوا إليه .

ومع ذلك فقد كانت تلك الرسائل التى يرسلها السبئيون سببا فى القالة وكثرة الحديث حتى تأثرت بذلك نفوس الكثيرين منهم . وفيهم من هو حاقد على عثمان لأسباب تخصه وقد بلغ بهم الحال أن بعضهم واجه عثمان بما يسوءه من الكلام فكان يتحمل ذلك (٧٤) .

ولأهمية الرسائل وتأثيرها برز اسم ديوان الرسائل كديوان له اختصاصات يتولى المكاتبات فى الدولة ولا سيما النشرات والرسائل التى تشتمل على التعليمات الصادرة للولاه وعمالهم وللرعية .

ويشير ابن خلدون إلى أن الذى أكد الحاجة إلى هذا الديون فى الدولة الإسلامية .. قضية اللسان العربى والبلاغة فى العبارة . وكان الخلفاء فى العصر الأموى يختارون لهذا المنصب من يثقون بأمانتهم واخلاصهم من خاصتهم أو من عظماء القبائل . فلما فسد اللسان وصارت الكتابة صناعة أصبحت تسند إلى من يحسن الكتابة(٧٥) .

٢ - القصيدة الشعرية :-

تعد القصيدة الشعرية من وسائل الأعلام الأولى التى عرفها العرب وكانت الأداة الوحيدة للتعبير عن رأى القبيلة فى العصر الجاهلى .. وإذاعة أخبارها ومآثرها الحقيقية منها والمفتعلة . وكان الشعر بذلك يشبه الجريدة اليومية التى تتضمن آخر الأنباء والتحليلات الإخبارية ومهمته الحفاظ على سمعة القبيلة (٧٦) .

ولم تختلف الدول الأخرى عن العرب فى ذلك . فقد نفى الامبراطور الرومانى أوغسطس الشاعر أوفيد بسبب قصيدة وهفوة .. بينما رفع الشاعر فرجيل إلى مرتبة المواطن الرفيعة وظلله

برعاية الدولة . إذ كانت قصائده مدحا ودعاية له وللإمبراطورية وتهجما على الأفكار والميول الجمهورية السابقة (٧٧) .

أما بالنسبة للشعر كوسيلة من وسائل الدعاية السياسية فلم يكن إلا نتيجة لالتزام الشعر بالسياسة التزاما حقيقيا وذلك بعد مقتل الخليفة عثمان وما أعقب ذلك من من فتن وحروب أهلية انقسم العرب فيها إلى شيع وأحزاب تتنافس على السلطة وتختلف فى فهمها لنظام الحكم (٧٨)

وكان لكل حزب من هذه الأحزاب شعراؤه الذين يعبرون عن أهدافه ومفهومه للحكم وحقه فيه . ويهاجمون خصومه ويشككون فى حقهم . ويحطون من شأنهم ويرمونهم بالمروق من الدين . وكانت العقيدة هى المحور لتلك الخصومات السياسية بين تلك الأحزاب يلتمس كل حزب منها لحقه وإعلاء لشأنه وتأييدا لنظرته ويرمى سواه من الأحزاب بالخروج عليها(٧٩) .

وكان الحزب الأموى أقدر هذه الأحزاب على اجتذاب الشعراء أو اصطناعهم بالأموال والهبات . ولذلك كان هؤلاء الشعراء يناصرون الأمويين رغبة فى جوائزهم لا حبا فيهم .. ولهذا لا نستغرب أن تنطوى نفوس بعضهم على بغض بنى أمية أو التشيع للأحزاب الأخرى. أما الشعراء الهاشميون والخوارج فقد أنفردوا بإيمانهم الوجدانى والفكرى المنزه عن الأهواء الدينية والطموح إلى المال والسلطان ولذلك اتسم شعرهم بالاخلاص والصدق (٨٠) .

ومن الأمثلة التى توضح أهمية الدور الذى لعبه الشعر فى مجال الدعاية السياسية موقف الشعراء من كل من عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان . فبينما أغدق عليهم عبد الملك الأموال والعطايا والهبات تأليفا لهم وكسبا لجانبهم بخل عبد الله بن الزبير عليهم وحرص حرصا شديدا جعل كثيرا من الشعراء ينصرفون عنه ويضرب الرواة لذلك مثلا بفضالة ابن شريك الأسدى وقيل ابنه ـ وفد عليه وقال له إن ناقتى قد نقبت ودبرت فقال : ارقعها بجلد واحصفها بهلب وسر البردين بها تصح . فقال فضاله .. إنى أتيتك مستحملا ولم آتك مستوصفا . وانصرف من عنده وهو يقول (٨١) :

شكوت إليه أن نقبت قلوصى فرد جواب مشدود الصفار

يضمن بناقة ويروم ملكـــا محال ذلك غير الســـداد(٨٢)

وليس معنى هذا أنه لم يكن هناك شعراء يقفون فى وصف ابن الزبير وإنما معناه أنه رغب بنفسه عن هذا اللون من الدعاية .

وعلى الرغم من عسف بعض الحكام الأمويين وتعقبهم للثوار والداعين إلى الثورة أو الناقدين للخلفاء أو الولاة .. فقد كان كثير من الشعراء يستطيعون أن يجهروا بما فى نفوسهم من سخط ومن تحريض .

ذلك أن شعراء الأحزاب المعارضة للحكومة إما ثائرون محاربون .. فهم لا يرهبون جريرة المقال .. لأن الذى يشهر سيفه لا يتردد فى أن يشهر لسانه . وإما مؤيدون لأحزاب ينتمون إليها وهم فى الأغلب بمنأى من أن تنالهم بسوء أيدى الحكام ولقد يجهر بعض الشعراء من الذين لا يعجزون الحكام من القصاص منهم بما يختلج فى أنفسهم من تنديد وسخط وهجاء ، فيحلم عليهم بعض الخلفاء ليطفئوا ما بهم من موجدة ولعل هذا الحلم يردهم عن البغضاء (٨٣) .

ومعاوية هو الذى استن هذه السياسة وتأثر بها من جاء بعده .. فقد كان يحلم على الشعراء حيث لا ينتظر حلم لأنه أخذ نفسه بسياسة استنها فى قوله : أنا لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ولو أن شدوها أرخيتها . وإذا أرخوها شددتها .

٣- القصص :-

تعد القصص من الوسائل الاعلامية الهامة التى تساعد على تحقيق التأثير الوجدانى والإقناع . ولذلك استخدمت أساسا بهدف الإرشاد والدعوة والهداية .. والقصص القرآنى والنبوى خير مثال على ذلك .

ويؤكد هذه الأهمية للقصص الدينى ما جاء فى مسند الإمام أحمد بن حنبل قال .. حدثنا شعبة عن أبى التباح قال .. سمعت أبا الجعد يحدث عن أبى امامه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاص يقص فأمسك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قص . فلأن أقعد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب . وبعد العصر حتى تغرب الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب (٨٤) .

وقد تطور القصص فى عهد بنى أمية وظهر القصص السياسى فكان القاص يروى قصصه بطريقة تناصر الفريق الذى يدافع عنه . وكان لكل فرقة أو حزب قصاصه الذين يعملون على التأثير فى الناس من زاوية عقائدهم ونظرياتهم فى الخلافة إلى أن أصبحت وظيفة القاص من الوظائف الرسمية . ففى عام ٧٠هـ ولى قضاء مصر عبد الرحمن بن حجيرة وكان له إلى جانب القضاء القصص وبيت المال .. وكان رزقه من هذه المناصب مائتى دينار . ويذكر أيضا أن الخليفة عبد الملك عزل أبا إدريس الخولانى عن القصص وأقره على القضاء . فقال : " عزلتمونى عن رغبتى وتركتمونى فى رهبتى " (٨٥) .

وكان القصص يلقى فى المساجد وفى ميادين القتال وينهض به رجال أعدوا له واختصوا به . وكانت منزلتهم فى الواقع أكبر منزلة فى الدولة . ولا غرابة فى ذلك فإنه كان يقوم مقام وزير من الوزراء . كما كان القصص أيضا سلاحا من الأسلحة التى استخدمتها المعارضة للدفاع عن فكرهم واجتذاب الأنصار . كما استخدمها الحزب الأموى أيضا .. وكان أقدرها بسبب قدرته على اجتذاب القصاص واصطناعهم بالأموال والهبات .. ووصلت درجة اهتمامه بالقصص إلى أن أصبحت وظيفة رسمية فى الدولة وأصبحت القصص بذلك تشبه الصحافة الحزبية فى الوقت الحاضر . من حيث أهميتها ووظائفها السياسية (٨٦) . ولذلك اجتهد القصاصون فى البحث عن كيفية ترجمة النظرية السياسية للأحزاب ووضع أدلتها فى شكل قصصى .

وقد يستخدم القصاص الطريقة المباشرة أو الرمزية . إذا ما كان هناك خوف على حياته . فيذكر حال جماعة تشابه الجماعة التى يخاطبها ويذكر ما يجرى بينها من مناقشات فى الموضوع الذى يتكلم فيه ويجرى الحجة على ألسنة الفريق الذى يدعو إلى الرشاد . وقد يذكر المعنى مصورا فى قصة فرضية أو حقيقية ليكون واضحا. ومن أبلغ القصص الذى كان طريقا للاستدلال المنطقى قصص الحسن البصرى .. ومن أبلغه ما قاله فى بيان أن الناس متساوون لا فرق بين شريف ووضيع بعد الموت فقد قال : قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة وأمير المصريين فلما صرنا به إلى الجبانة فإذا نحن بأربعة سودان يحملون صاحبا لهم فصلوا عليه .. ثم حملنا بشر إلى قبره وحملوا صاحبهم إلى قبره ودفنا بشرا ودفنوا صاحبهم ثم انصرفوا وانصرفنا . ثم التفت التفاتة فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشى فلم أر شيئا قط كان أعجب منه (٨٧) .

ويبدوا أن الهدف الرئيسى لهذه القصة كان معارضة سياسة الأمويين فى الحط من شأن الموالى واحتقارهم فعاملتهم معاملة السيد للمسود وأذلتهم وعدتهم دون العرب دما وجنسا وأدبا وشجاعة وخلقا . ووصل الأمر إلى حد أن يفرق أحد ولاة الدولة الأموية بين أحد الموالى وبين زوجته العربية من بنى سليم وزاد على ذلك فضربه مائتى سوط وحلق رأسه وحاجبيه . مما أثار نقمتهم على العرب وجعلهم يعتزون بمجدهم التليد ودولتهم المبادة ذات الحضارة الراقية والآثار الباقية والسلطان العظيم .

وكثيرا ما كان القصص يتخذ شكل النبوءات . وقد برع فى هذا اللون من القصص كعب الأحبار وهو يهودى أسلم أدخل كثيرا من الإسرنيليات عن طريق القصص والنبوءات . من ذلك نبوءاته عن خراب العالم وعن المسيخ الدجال والدار التى سيسكنها ثم ما لبث الآخرون أن التقطوا هذا الخيط وظهرت النبوءات عن المهدى المنتظر والسفيانى المنتظر والقطحانى المنتظر .. والكلبى المنتظر وذلك كما سنتناوله بالتفصيل فى أساليب الدعاية(٨٨) .

وعلى أية حال فإن هذه القصص التنبؤية وجدت اهتماما من قبل كثير من الأفراد خاصة وأنها تعكس المعاناة الحقيقية للمسلمين

وسعيهم نحو الخلاص من الفرقة والحروب والمنازعات التى أورثتهم إياها الأحزاب السياسية المتصارعة .

٤- الكتاب :-

الكتاب وسيلة هامة للثقافة وتحصيل المعرفة ووسيلة هامة أيضا لتكوين آراء الطبقة المثقفة فى المجتمع . ووسيلة أيضا للتأثير عليها باعتبارها الطبقة التى تمثل الرأى العام .

وقد عرفت هذه الأهمية للكتاب منذ أقدم العصور فكثيرا مما تضمنته المؤلفات التاريخية دعايات غير مقصودة .. وبعض ما كان يسطره المؤلفون كان يثير سخط الحكام عليهم . فقد غضب الإمبراطور " كاليجولا " على أحد الكتاب عام ٣٨م لما اشتم من بعض سطور كتاباته رائحة الغمز والقدح فيه وقيل أنه أمر بحرقه حيا .

وحصل هيرودوتس على لقب أبو التاريخ بسبب ما سطره من تاريخ غذى الحضارة البشرية .. إلا أنه أيضا وصف بالصحافى المأجور للدولة الآثينية . وهو وصف لا يمكن أن يمر على علاته دون مناقشة وتمحيص .. فما كان يعتقده هيرودوتس دونه . ودون كثيرون غيره من المؤرخين ما آمنوا به وما كان سائدا فى عصرهم دون تحيز مقصود للدعاية أو لترجيح فكرة على أخرى (٨٩) .

ويزخر التاريخ العربى بأمثلة على مؤلفات عديدة للتاريخ والحديث والأدب يستشف منها الدعاية لجهة والإساءة لأخرى ونخص بالذكر مجموعة الأحاديث النبوية الموضوعة عمدا فأصبحت تربوا على عشرات الآلاف منها ما يخدم الأمويين ومنها ما يؤيد العلويين ومنها ما يؤيد الشعوبيين .

وبالإضافة إلى الكتب التى كانت تحمل فى بطونها دعاية مباشرة أو غير مباشرة لحزب معين أو فكر معين كانت هناك كتب الدعاية الصرفة التى ألفت أساسا للدعاية ككتب التهكن والتنبؤ بالغيب وكتب الملاحم وغيرها كما سنوضح فى الفصل التالى .

وكما كانت الكتب أحد أسلحة الدعاية السياسية للأمويين فقد كانت سلاحا من الأسلحة التى استخدمت ضدهم أيضا ليس من قبل معارضيهم فقط ولكن من العصور التالية لهم . فقد تحامل عليهم المؤرخون القدامى نتيجة لتعصب العباسيين والفرس والموالى ضدهم ومحاولتهم طمس معالم هذا العصر الزاهر ونتيجة أيضا لكره العلويين لهم .. فأغفلت دراسة هذا العصر والإخبار عنه إلا من زاوية معينة .

وبشكل عام فان معلوماتنا عن العصر الأموى قليلة وذكره فى المصادر لا يوازن من قريب أو بعيد بالعصر العباسى والمصادر أغلبها متعصب ضده وكلها تمجد الدولة المباركة " الدولة العباسية " التى أزلت دول الظلم وأحلت محلها دول العدل والإنصاف ويجب ألا يأخذنا العجب لهذه الحال ويزول عجبنا إذا تذكرنا أن التاريخ الإسلامى لم يبدأ تدوينه إلا فى أواخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى وأن مصادرنا كلها عن العصر الأموى مصادر عباسية وأن مؤلفيها كتبوها وهم بشكل أو بآخر متأثرون بنفوذ العباسيين ودعايتهم وأفكارهم كما أن الآثار الأموية والوثائق طمست وشوهت وحاول العباسيون القضاء على معالم حضارتهم وتشويه ذكرهم لدى العامة والخاصة .

ويرتبط ذكر الكتاب أيضا بالمكتبات التى كانت تلحق بالقصور(٩٠) للترويج لأفكار معينة إضافة إلى مهمتها الأساسية فى توفير العلم لمرتاديها . وكان الخلفاء الأمويون يحتفظون بمكتبات فى قصورهم . فقد أخرج ابن سعد عن عبد الرازق قال سمعت معمرا قال كنا نرى أنا قد أكثرنا على الزهرى حتى قتل الوليد فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه . يقول : من علم الزهرى.

ومن الخلفاء الذين أثر عنهم إنشاء مكتبات خاصة للدعاية الخليفة المأمون .. فقد أنشأ بيت الحكمة من أجل الدعاية لأفكار المعتزلة إلى جانب وظيفتها فى توفير المعرفة للمسلمين . كما أنشأ الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى دار الحكمة بالقاهرة للدعاية إلى المذهب الفاطمى الإسماعيلى .

وهى نفس الطريقة التى تتبعها المكتبات الملحقة بالمراكز الثقافة فى بعض العواصم العربية والإسلامية والتى تقيمها الدول الأوربية والأمريكية وبخاصة بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة لجذب الشباب واستقطابه ونشر دعايتهم بينهم .

٥- المسجد :-

يعد المسجد من أهم وسائل الدعاية السياسية التى أحسن استخدامها سواء من قبل الأمويين أو خصومهم . وجاءت الوظيفة الدعائية للمسجد امتدادا للدور السياسى الذى اضطلع به المسجد فى حياة المسلمين . حيث كان مقرا للحكومة الإسلامية . ومقر لإدارة شئون الدولة الإسلامية (٩١) .

كما كان الخليفة يلقى بعد بيعته من فوق منبره خطبته الأولى التى هى بمثابة بيان سياسته فى الحكم . والمنبر بهذا يشبه العرش الذى يلقى من فوقه بيان سياسة الدولة فى الأمم الدستورية وكان المسجد المكان الذى تذاع فيه الأخبار الهامة المتعلقة بالمصالح العامة فى أمور الدين والسياسة .

ولذلك أهتم الخلفاء ببناء المساجد فقد بنى فى عهد عمر بن الخطاب ٤٠٠٠ مسجدا فى بلاد العرب وحدها . وكان المسلمون يحرصون على بناء مسجد جامع عند إنشائهم المدن الجديدة لأنه مظهر من مظاهر سيادة الدين الإسلامى ودليل على استقرارهم فى البلاد التى فتحوها .

كما أولى الأمويين أيضا المساجد اهتماما كبيرا فنجد معاوية منذ أن كان واليا من قبل عثمان يبنى المساجد فى السواحل ويكبر ما ابتنى منها قبل خلافته (٩٢) .

وفى عهد الدولة الأموية أصبح للمسجد مدلولا سياسيا وعرف المسجد الجامع الذى يؤمر فيه الخليفة أو من ينوب عنه فى صلاة الجمعة أى أن لفظ الجامع أصبح يطلق على مسجد الدولة الرسمى الذى يعرف بأسم المسجد الجامع . وهو الذى يلقى فيه الخليفة أو من ينوب عنه خطبة الجمعة . ومن ثم تحتم أن يكون بالجامع منبرا

لارتباطه الوثيق بالقاء الخطبة بخلاف المسجد فلا يجوز أن يحتوى على منبر (٩٣) .

ثم دخل المسجد فى نطاق الصراع السياسى وذلك بالدعاء للخليفة فى خطبة الجمعة . وكان أول خليفة دعى له على منبر هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه دعا له عبد الله بن عباس بالبصرة فقال : اللهم انصر عليا على الحق .. فتبعه الناس بعد ذلك فى الدعاء للخلفاء على المنابر فى سائر الأعمال . ثم ولى معاوية الخلافة وأمر بسب على بن أبى طالب وأهل بيته على المنابر مما أثار حنق الشيعة عليه . روى الطبرى أن معاوية لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فى جمادى سنة ٤١هـ دعا إليه وحمد الله وأثنى عليه ثم أوصاه وأكد له أن يردد فى خطبه ومجالسه الترحم على الخليفة عثمان والإستغفار له . والعيب على الإمام على وأصحابه وإقصائهم وابداء الجفوة لهم والنفرة منهم وإدناء شيعة عثمان والاستماع منهم .. وطبق المغيرة تعاليم معاوية طيلة سبع سنين وما انفك عنها (٩٤) . ولم يمنع سب على على المنابر إلا عمر بن عبد العزيز وجعل بدلا منها الآية الكريمة " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون " (٩٥) .

ومن ناحية أخرى فقد كان المسجد باعتباره مؤسسة تعليمية مقرا لعقد الندوات العلمية وإلقاء الدروس والمناظرات والقصص التعليمية والسياسية كما أوضحنا سابقا .

ولهذه الأهمية للمسجد غالى بعض الخلفاء فى الاهتمام بالمساجد وزخرفتها ومن ذلك مسجد دمشق الذى بناه الوليد بن عبد الملك وجعل محرابه مرصعا بالجواهر الثمينة وقناديله من الذهب والفضة ومحلى بالفسيفساء والسلاسل الذهبية الأمر الذى جعل معارضوه يرمونه بقصر النظر والتبذير وأنه بناه من مال المسلمين من غير فائدة تعود عليهم من وراء هذا الإسراف وقد دافع عن نفسه فخطبهم فى المسجد : بلغنى أنهم يقولون وتقولون .. وفى بيت مالكم عطاء ثمانى عشرة سنة إذا لم يدخل لكم فيها حبة قمح(٩٦)

على أن هذه الدعاية أثرت على خلفه عمر بن عبد العزيز لدرجة كاد أن ينزع الفسيفساء ويستغنى عن السلاسل الذهبية التى علقت فيها المصابيح .. وذلك لتدارك هذه الخسائر . لكن موقفا حدث جعله يرجع عن ذلك ويدرك ما للمسجد من أهمية دعائية كبيرة . ذلك أنه اتفق أن وصل إلى دمشق سفراء من قبل إمبراطور الروم ورغبوا فى زيارة مسجد دمشق فسمح لهم عمر .. ووكل بهم رجلا يعرف لغتهم . فلما مروا بصحن المسجد واستقبلوا القبلة .. رفعوا رؤوسهم إلى المسجد . وقد نكس رئيس الوفد رأسه .. وأصفر وجهه فسأله من معه فقال : إنا معشر أهل رومة .. نقول : إن بقاء العرب قليل .. فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة لابد أن يبلغوها .. ولما اتصل هذا بمسامع عمر قال : أنى أرى أن مسجدكم هذا غيظ على الكفار ، وترك ما عزم عليه(٩٧) .

كما أن بناء المساجد كان يكسب الخلفاء تأييد المتدينين .. ومن ذلك محاولة عبد الملك ضم كنيسة القديس يوحنا المعمدان إلى المسجد المجاور لها (٩٨) .

ومن أفضل الأمثلة التى تبرز مدى استغلال الخلفاء الأمويين للمسجد كوسيلة للدعاية السياسية اهتمام عبد الملك بن مروان ببناء قبة الصخرة وتبعا لرواية اليعقوبى . أن سبب بناء قبة الصخرة كان محاولة من عبد الملك بن مروان لإبقاء أهل الشام فى بلادهم لأن خصمه عبد الله بن الزبير كان يأخذهم بالبيعة إذا حجوا واستغل هذه المناسبة الدينية للنيل من عبد الملك والأمويين .. وعندما ضج الناس وقالوا .. تمنعنا من حج بيت الله وهو فرض من الله علينا ؟ روج عبد الملك حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم على لسان ابن شهاب الزهرى مفاداه " لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد .. المسجد الحرام ومسجدى ومسجد بيت المقدس .. وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام . وهذه الصخرة التى يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة .

ويرى كولدزيهر أن جميع الأحاديث والتى تتعلق بالأهمية الدينية للقدس لم تكن إلا أسلحة فى الحرب بين عبد الملك ومنافسه

عبد الله بن الزبير . ويشير ولها وزن إلى أن بناء قبة الصخرة كان محاولة لاستبدال مكة بالقدس ولكنه ترك هذه المحاولة بعد أن تغلب على منافسه .

ويرى المقدسى أن بناة قبة الصخرة يمكن أن يفسر على أنه تقدير من عبد الملك لشعور رعاياه من أهل الشام ورغبته فى إظهار عظمة الإسلام بمنافسة الأبنية البيزنطية التى وجدوها حولهم (٩٩) .

٦- الرمـــوز :-

لابد للعقل الانسانى أن يتبنى الرموز .. وذلك حتى يمكنه تنظيم الخبرة الانسانية المعقدة فى شئ محسوس يستطيع تصنيفه وتذكره وهذه الرموز ما هى إلا تبسيط للحقائق المجربة .

وهذه الرموز لها علاقة وثيقة بالاتجاهات المرغوبة أو غير المرغوبة بل هى أهد مكوناتها كما أن استخدام هذه الرموز غالبا ما يثير استجابات عاطفية قوية لدى الجمهور.. أى أن القوالب المصبوبة التى نكونها لأنفسنا تزودنا باتجاهات عملية دائمة تدفعنا لاتخاذ اجراءات معينة بالنسبة للأفكار والأشياء والناس (١٠٠) .

والرمز فى اللغة ما دل على غيره ويستخدم للدلالة على وجهين:-

أولا : دلالة المعانى المجردة على الأمور الحسية كدلالة الأعداد على الأشياء ودلالة الحروف على الكميات الجبرية .

ثانيا : دلالة الأمور الحسية على المعانى المتصورة كدلالة أشكال معينة على العلاقات الرياضية ودلالة بعض الألفاظ على معانى مجردة مثل : الحرية ( بمعنى التحرر من أى قيد مادى أو معنوى ثم هى أمر رفيع يعلو على أية تجسيدات واقعية ) .

وهذا الاستخدام المجازى للرموز الاجتماعية من أهم ما يميز الثقافات عن بعضها البعض (١٠١) .. وتتعدد الأشكال التى تتخذها الرموز " فالمنشآت أو المنجزات الحضارية مثلا تحمل فى طياتها نوعا من التنبيه بمستوى التقدم الحضارى والعلمى الذى أدى اليه .

كما أننا من خلال مشاهدتنا للأزياء نستطيع أن نحكم بأنها تنتمى إلى قوميات مختلفة أوإلى عصور مختلفة (١٠٢) .

ويدخل فى نطاق الرموز الدعائية أيضا الشعارات المجسدة والرموز المصورة والشارات المختلفة على شكل الحيوانات أو الأشياء كالصليب المعكوف والمنجل والمطرقة أو فى رمز مجسد (كالتحية الفاشية ورفع قبضة اليد إلى أعلى وأيضا الرموز الموسيقية .. كالسلام القومى والجمل الموسيقية ) (١٠٣) .

ويعد الحرف الانجليزى " V " التى اتخذه الحلفاء رمزا لهم نجاحا حاسما فى هذا الميدان فهو الحرف الأول فى كلمة النصر Victory ومن ثم كانت له قيمة رمزية مباشرة لشكل الكلمة التى يعبر عنها هذا إلى أنه يمكن فى نفس الوقت أن يتخذ بسهولة شكل رمز كتابى فى غاية البساطة .. سواء من حيث رسمه على الجدران أو صورة رمز يتجسد فى الأصبعان أو الذراعان مرفوعان منفرجان وصورة رمز صوتى أيضا يقابل حرف " V "(١٠٤) .

وتتلخص أهمية الرموز فى أنها تصل الى الغاية القصوى من حيث مقدرتها على تكثيف المذاهب والنظم السياسية وتبسيطها بشكل يساعد على سهولة إدراكها وفهمها كما أنها تشترك جميعها فى أنها تثير جوا من القوة لا غنى للدعاية عنه وتعطى انطباعا بالتواجد المستمر يشد من أزر المتعاطفين ويضعف من معنوية الخصوم(١٠٥).

وقد استخدمت هذه الرموز الدعائية للدعاية السياسية فى العصر الحديث . فقد استخدم الثوار الفرنسيين أزياء دعائية قلدها الثوار المتعاطفين معهم فى جميع أنحاء أوربا(١٠٦) . وكانت الملابس الرسمية والفرق الموسيقية والاستعراضات الجماهيرية والأغانى والشعارات جزءا من جهاز الدعاية الألمانى الذى أسسه هتلر وجوبلز لزيادة وقع الكلمات القوية وتأكيدها بالأفعال القوية(١٠٧) . وعندما افتتح الجنرال "كلارك" نابولى للحلفاء سارع بتقديم الخدمات العمرانية والاجتماعية وأمر بتوصيل أنابيب المياه والكهرباء وإصلاح شبكة المجارى وكان مهندسوا الجيش هم الذين يشرفون على هذه الأعمال .. وكانت تضاف بعض اللمسات الإنسانية مثل

التوجه إلى الأهالى برجاء مغادرة بيوتهم ومتاجرهم لحظة تشغيل الكهرباء حماية لهم من أى انفجار محتمل .

وبالنسبة لاستخدام الرموز الدعائية على عهد الدولة الأموية فقد بدأت على يد معاوية عندما عرض قميص عثمان فى مسجد دمشق ملوثا بدمه وعرض أصابع زوجته نائلة وقد قطعت وهى تحاول أن ترد الثوار عن زوجها . وذلك إمعانا منه فى اثارة الناس وتماديا فى دعواه للمطالبة بدم عثمان وتبريرا لخروجه على على كرم الله وجهه .

ثم كانت الحرب بين معاوية وكاد على أن ينتصر فى موقعة صفين (٣٦هـ) وهم معاوية نفسه بالفرار لكن جند معاوية رفعوا المصاحف ونادى مناديهم الله الله فى العرب الله الله فى الإسلام .. كتاب الله بيننا وبينكم فانخدع بعض الكبار من أصحاب على . ودعوه إلى الرضا بما يعرض أهل الشام فأبى وبين لهم أنهم كائدون لا مخلصون .. وأنهم قد تحايلوا لما أيقنوا الهزيمة لأنهم ليسوا أصحاب دين ولا قرآن .وبهذا الاستخدام المتقن لهذه الحيلة وجعل القرآن كرمز نجح معاوية فى منع هزيمته وفى إيقاع الفرقة بين أتباع على الذين عادوا وكثير منهم على التحلل من بيعته .. ساخطون على التحكيم . مختلفون فيما بينهم .. يقولون لا حكم إلا لله .. ولذلك قال على عندما سمعهم : كلمة عادلة يراد بها جور .. إنما يقولون لا إمارة .. ولابد من إمارة برة أو فاجرة (١٠٨) .

ومن الرموز التى استخدمت فى العصر الأموى الخاتم والعصا فقد كانتا شارتا الملك وكان الخليفة يخرج عادة لصلاة الجمعة مرتديا ثيابا بيضاء وعمامة مرصعة بالجواهر ويرقى المنبر لإلقاء خطبة الجمعة وبيده الخاتم والعصا باعتبارهما شارتا الملك (١٠٩) .

كما تنبه الأمويين أيضا الى أهمية الملابس فى مجال الدعاية السياسية . ولذلك فقد أنشأوا فى قصورهم دورا لنسج أثوابهم .. وكان يشرف عليها صاحب الطراز . فينظر فى أمور الصباغة والحياكة ويجرى عليهم الأرزاق ويتفقد عمالهم (١١٠) . كما اختصت هذه الدور بصنع الملابس الخاصة بالأمراء ورجال الحاشية إضافة

إلى ملابس الجند ورجال الدولة التى كانت تطرز بشارة الخلافة ، وهو اسم الخليفة أو لقبه (١١١) .

ولم يغب عن بال الأمويين الدور الهام للمنشئات الحضارية فى الدلالة على قوة الدولة وعظمتها ويتضح ذلك من إنفاقهم وبذخهم على بناء المساجد كما فعل الوليد بن عبد الملك عندما بالغ فى الإنفاق على مسجد دمشق وكما يتضح من حرص عبد الملك ومبالغته فى إظهار عظمة الإسلام بمنافسة الأبنية البيزنطية فى القدس وتفننه فى بناء قبة الصخرة (١١٢) .

وتبدو أهمية المنشآت الحضارية فى مجال الدعاية السياسية للتدليل على قوة الدولة وعظمتها وتواجدها حتى البلدان القاصية البعيدة عن عاصمة الخلافة .. من ذلك إنشاء الخانات أو بيوت الضيافة .. وذلك على عهد عمر بن عبد العزيز فقد كتب إلى سليمان ابن السرى أن أعمل خانات .. فمن مر بك من المسلمين فأقروه يوما وليلة وتعهدوا دوابهم .. ومن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين .. وإن كان منقطعا فأبلغه بلده(١١٣) . ولنفس السبب أيضا اتخذ العرب طرازا للعمارة خاصا بهم يتناسب مع طبيعتهم ويبرز عظمة الدولة الإسلامية وتفوقها (١١٤) .

أما موقف المعارضة من الرموز الدعائية فهو استخدام الرموز أيضا فقد حاربت جبهة المعارضة لهتلر رموزه بالرموز أو بما يسميه " تشاخوتين " حرب الرموز . فإن زعيم الجبهة الفولازية والذى نقل عنه كيف أنه عارض الصليب المعكوف الذى كانت تتكاثر صوره فوق الحوائط بالأسهم الثلاثة رمز الشباب الاشتراكى . وكيف أنه عارض " هايل هتلر " يحيا هتلر برمز " فرايهايت " أى تشامخ الجياد . وكيف عارض السلام الفاشى بسلام القبضة المرفوعة(١١٥).

وبالنسبة للمعارضة للدولة الأموية فقد بدأت حرب الرموز مبكرا على يد الشيعة . وكانت من الرموز الدعائية الهامة التى ساعدت على انتشار الإسلام ببلاد فارس وعلى تعلقهم بالإمام على ظهور المذهب الشيعى فى بلادهم ومن جهة أخرى " الزواج " زواج الامام الحسين بن على بشهربانوه إحدى بنات يزدجرد آخر ملوك الأكاسرة الساسانية ولذلك فقد رأى الفرس فى أولاد الحسين وارثين

لملوكهم الأقدمين وظلوا على إخلاصهم وولائهم حتى تمكنوا فى النهاية من القضاء على البيت الأموى ونقل الخلافة للرضا من آل محمد وكانوا يحسبونه من آل على . إلى أن فاجأتهم الأحداث بولاية العباسيين للخلافة (١١٦) .

ولم يتخلف عبد الله بن الزبير أيضا عن معركة الرموز فما أن أعلن نفسه خليفة حتى سارع إلى حمل "الدرة" كشعار للخلافة مشيرا بذلك إلى تأسيه بالخليفة العادل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه . كما أنه أستغل قدسية مكة والمسجد الحرام بها وأطلق على نفسه لقب " العائز"(١١٧) كرمز دعائى يعتمد على العاطفة الدينية فى اجتذاب الأنصار ولا يقل قوة عن الرمز الذى استخدمته الحركة الهاشمية وهو الدعوة للرضا من آل محمد .

ومن أقدر المعارضين للدولة الأموية على استخدام الرموز المختار الثقفى . وقد لجأ إليها للتأثير على اتباعه واكتساب ثقتهم .. ولعل اكتشاف المختار لأهمية الرموز وقوتها فى التأثير على الأتباع جاء مصادفة .. روى الطبرى أن الشاعر سراقة بن مرداس . كان قد أسر بعد معركة جبانة السبيع فلما جلب أمام المختار أنكر أنه قد أسر من قبل أتباع المختار وأدعى أن الملائكة الذين شاهدهم يقاتلون على خيول بلق إلى جانب المختار هم الذين أسروه .. فأمره المختار أن يصعد المنبر . فيعلم الناس ما رأى .. ففعل .. ثم استدعى المختار سراقة وأخبره بأنه يعرف جيدا أنه لم ير شيئا وأمره أن يترك الكوفة .. وهذه القصة استعملها المختار لتقوية موقفه بين أتباعه من الموالى منهم على وجه الخصوص الذين كانوا أكثر استعدادا لتصديق أى شئ يقوله لهم المختار (١١٨) .

ومن الرموز التى استخدمها أيضا الحمام كان يطلقها أصحابه أثناء القتال ويدعى أنها ملائكة أرسلها الله لنصره .

ذكر ابن كثيرأن المختار خرج يشيع إبراهيم بن الاشتر وهو ماض إلى قتال عبيد الله بن زياد .. فقال للناس إن استفتحتم فبنصر من الله .. وإن حصتم حيصة (١١٩) فإنى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب أن الله مؤيدكم بملائكة غضاب تأتى فى صور الحمام دوين السحاب .. وكان قد دفع إلى قوم من خاصته حمام

بيضا .. وقال لهم : إن رأيتم الأمر لنا فدعوها .. وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها .. فلما التقى الجمعان دارت الدائرة على أصحاب إبراهيم فأرسل أصحاب المختار الطير .. فتصايح الناس .. الملائكة .. الملائكة .. فتراجعوا وقاتلوا حتى انكشف أصحاب ابن زياد وفنوا(١٢٠) .

ومن الرموز التى استخدمها أيضا كرسى غطاه بالديباج وكان يضعه فى مقدمة الجيش ويقول لجنده .. قاتلوا عليه فهو لكم كالتابوت لبنى اسرائيل (١٢١) . وقد ساعد هذا الكرسى على زيادة حماس أصحابه ورفع من معنوياتهم فى حروبهم مع أعدائهم من أهل الشام .. كما ساعده الكرسى على الحصول على تأييد أكثر الشيعة المتطرفين .. وذلك لنسبته إلى على بن أبى طالب (١٢٢) .

ومن الأشياء التى تحكى عنه أيضا أنه كان يمخرق على الناس بأكاذيب شتى منها أنه كان يتكهن بأمور ويحتال فيوقعها ثم يزعم للناس أن هذا من عند الله (١٢٣) وذلك كقوله : "تنزلن من السماء ، نار دهماء فلتحرقن دار أسماء " فعلم بهذا أسماء بن خارجة فقال : أو قد سجع بى أبو اسحاق هو والله محرق دارى . فتركه وترك الدار وهرب من الكوفه .

كما نجح العباسيون أيضا فى استخدام الرموز ففى الاجتماع الأول الذى دعى اليه فى الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٩هـ استخدمت المشاعل لاستدعاء الناس من أعالى البلاد . وحضرت الجموع الغفيرة وهى متشحة بالسواد دلالة على حزنها على زعمائها الذين سقطوا فى الميدان أو قتلوا غيلة (١٢٤) .

٧- اللـــواء :-

اللواء : دون الراية ، وقيل : اللواء ، العلم الضخم . والعلم علامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار . والراية يتولاها صاحب الحرب . يحدثنا ابن حيان عن اللواء فى قصة الهجرة ولعله أول لواء رفع الإسلام . يقول : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحق به بريدة بعد أن أسلم قال النبى صلى الله عليه وسلم لا

يدخل المدينة إلا ومعه لواء قال : فجعل بريدة عمامته ثم شترها فى رمح ثم مشى بين يديه ثم دخل المدينة .

وظل اللواء بعد ذلك لازمة من لوازم الحروب الإسلامية ومقترنا بالجهاد فى نفوس جميع المسلمين . روى أحمد والترمذى عن ابن عباس . كانت راية الرسول صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه أيضا . وكان الخلفاء يعقدون الألوية كذلك للعمال إذا ولوهم الأمصار وخاصة فى أوائل العصر الإسلامى فقد كان العامل يجمع إلى جانب اختصاصه قيادة الجيش (١٢٥) .

وللأعلام دلالة سياسية فبقدر المساحة التى يرفرف عليها علم الدولة بقدر ما يكون اتساعها ونفوذها .. كما أن الدولة التى تظلها أكثر من راية لا يعنى ذلك سوى انقسامها وتفرقها . وقد حدث هذا للدولة الأموية على عهد عبد الملك بن مروان . خلال الفترة الأولى من عهده وبالتحديد فى عام ٦٨هـ . وفى ذلك العام واتت عرفات أربعة ألوية : ابن الحنفية فى أصحابه فى لواء(١٢٦) . وابن الزبير فى لواء .. ونجدة الحرورى فى لواء ولواء بنى أمية الأمر الذى يدل على عدم خضوع المسلمين فى ذلك الوقت لخليفة واحد.

أما بالنسبة للاعلام كوسيلة من وسائل الدعاية السياسية فيعود الفضل فى استخدامها حديثا إلى هتلر حيث جعلها أحد أجهزة الدعاية لديه(١٢٧) . ويتلخص الأثر النفسى للأعلام فى أنها تخلق جوا مهيبا متسلطا وتثير الحماس ويزيد هذا الأثر إذا كان العلم من اللون الأحمر وهو من الألوان ذات الأثر الفسيولوجى الساحر (١٢٨) .

أما التجربة الفريدة للأعلام كوسيلة من وسائل الدعاية السياسية فيعود الفضل فيها إلى الخوارج وأيضا إلى الحركة العباسية التى زاوجت بين الألوية السوداء التى اتخذتها رمزا لها وبين أسلوب النبوءات مثيرة بذلك مشاعر الجماهير وعواطفها على الدولة الأموية .

ويرجع السبب فى اتخاذ الخوارج والعباسيين للألوية السوداء الى عوامل عديدة هى (١٢٩) :

١- الحداد على الشهداء من آل البيت الذين ذهبوا ضحية استبداد الحكومة الأموية وقسوتها .

٢- التشبه بلواء الرسول صلى الله عليه وسلم الذى كان يحمله فى حروبه مع الكفار . ذلك اللواء الذى اتفقت جميع المصادر على أنه كان أسودا . مما يعطى انطباعا بأن هناك علاقة بين الألوية السوداء ومحاربة الضلالة .. كما أن اللواء الأسود يذكرهم بعهد الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك العهد الذى يعتبر المثل الأعلى للكمال .. ويعنى أيضا الاتفاق بين الخوراج والحركة العباسية على محاربة الجور والضلال ممثلا فى الدولة الأموية .

ويشير الطبرى الى أن السر الحقيقى فى اتخاذ اللواء الأسود يرجع إلى بيت شعر للكميت جاء فى قصيدة وجهها إلى الحارث بن سريح قال فيه :-

ألا فارفعوا الرايات سودا  على أهل الضلالة والتعدى

وقد امتزجت الأعلام كوسيلة من وسائل الدعاية السياسية بالنبوءات ـ نبوءة الرجل ذى الأعلام السود الذى يخرج من المشرق ويزيل عرش بنى أمية .

وعندما بدأت المقاومة المسلحة للحركة العباسية أخذت الرايات السوداء التى أطلق عليها اسم السحاب(١٣٠) والظل تنتقل من مدينة إلى مدينة فى سيرها نحو المغرب .

ومما يؤكد تأثير الرايات السود والنبوءات المتعلقة بها على النفوس ما ذكره صاحب الأنباء أنه فى يوم الزاب لما التقى عبد الله بن على ومروان بن محمد .. نظر مروان إلى الرايات التى سيسلمونها إلى عيسى بن مريم (١٣١) .

ومن الروايات التى ذكرها وتوضح سبب احتيار العباسيين للسواد يقول : روى الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه حين استسقى ليلة الجن أتاه العباس بماء فشربه ثم قال فيه العباس رضوان الله عليه يمدحه بأبيات طويلة منها :

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث تخصف الورق

ثـم هبطت البـــــلاد لا بشرا أنت ولا نطفـة ولا عـــــلق

فلما بلغ الى قوله :

وأنت لمـــا ولـــدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفـق

قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا عم ألا أصلك ، ألا أحبوك قال : بلى يا رسول الله. فما أحوجنى إلى ذلك .. قال إن الله تعالى افتتح هذا الأمر بى وسيختمه بولـدك . وفـى روايـة أخرى أن النبـى صلى الله عليه وسلم نزل عليه وعليه قباء أسود وعمامة سوداء . قال ما هذا الزى يا جبريل ؟ فقال جبريل : يا محمد يأتى على النـاس زمان يعز الله فيه الإسلام بهذا السواد . فقـال لـه النبـى صلـى اللـه عليه وسلم : رناستهم ممن تكون ؟ فقال له جبريل عليـه السـلام : من ولد عمك العباس . فقال النبى صلـى اللـه عليـه وسـلم فاتبـاعهم ممن يكونون ؟ فقال جبريل عليه السلام : أهل المنـاطق ممـن وراء جيحون . دهاقنة الصفد والترك (١٣٢) .

ولهذا كان لزاما على من يبشر بالمهدى الإمام الحق أو بعبـارة أدق الإمـام الـذى يـزول علـى يديـه سـلطان بنـى أميـة أن يتخـذ تلـك الألوية السوداء شعارا له (١٣٣) .

وفى سنة ١٢٨هـ ادعى الحـارث بـن سـريح أنـه ذلـك المهـدى المنتظر على أن دعوته هذه لم تصادف شيئا من النجاح .بيد أن ذلك الأمل الذى كان الحارث أول من بعثه فى النفوس لم يخب بعد . كمـا كان العامل الوحيد الـذى جذب إلـى الدعوة العباسية جميـع هـؤلاء الذين يشاطرون الحـارث ميولـه وآراءه السياسية . وتـأكيدا لأهميـة الأثر الدعائى للألوية السوداء بالنسبة للحركة العباسية فإن أبا مسلم الخرسانى تسمى بصاحب الألوية السوداء .. والتى كتب عليها " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير "(١٣٤) .

٨- الطراز :-

يعد الطراز أحد الوسائل الدعائية الهامة التى استخدمها الخلفاء الأمويون لتأكيد سيادتهم وسيطرتهم على مقاليد الأمور . " والطراز يعنى الكتابة الزخرفية على الأقمشة وهى مشتقة من " ترازبين " بالفارسية وتعنى التطريز . ثم اتسع مدلولها فأصبحت تستعمل للكتابة على الورق والسيج (١٣٥) . ثم أصبحت تطلق للدلالة على المصنع الذى تصنع فيه هذه المنسوجات (١٣٦) .

ومعروف أنه من أبهة الملك وفخامة السلطان ومذاهب الدول كما يذكر ابن خلدون أن ترسم أسماء الملوك أو علامات تختص بهم فى طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الابريسيم وذلك بقصد التنويه بلابسها من السلطان فمن دونه . أو التنويه بمن يختصه السلطان بملبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من وظائف دولته (١٣٧) .

وقد اتخذ المسلمون الطراز عن الروم والفرس . وكان هؤلاء قد وضعوا صور الملوك والرسوم على الطراز التى توشى بها الثياب لكن حكام المسلمين لم يستحسنوا اتخاذ الصور لتحريمها فى الإسلام بل استعاضوا عنها بكتابة أسمائهم وعبارات أخرى تجرى مجرى الفأل والدعاء . وظلوا على ذلك إلى أيام عبد الملك فنقله إلى العربية وبدأ بالقراطيس ـ ورق البردى ـ وكانت تصنع بمصر . وتنقش عليها عبارات مسيحية ولما عرف معناها قال ما أغلظ هذا فى أمر الدين والإسلام وكتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بإبطال هذا الطراز واستبدال تلك العبارات بصورة التوحيد ـ قل هو الله أحد .. وبإحدى الشهادتين . وظل هذا الطراز فى سائر بلاد الدولة الإسلامية ولم يغير من جوهره شيئا . كما كتب إلى عماله بإبطال القراطيس المطرزة لطراز الروم وإنزال العقاب بمن يخالف ذلك(١٣٨)

ولما حملت هذه القراطيس إلى بلاد الروم وعلم بها الإمبراطور أنكر ما فيها واستشاط غضبا .. ويعكس هذا الحرص للإمبراطور الرومانى على إبقاء الطراز على ما هى عليه إلى تفهمه لأهميته

باعتباره آخر أشكال السيادة المتبقية لهم والتى حرص عبد الملك على القضاء عليها وتأكيد سيادة الدولة الإسلامية (١٣٩) .

وهذه الحركة لتعريب الطراز هى جزء من خطة رسمها عبد الملك بمهارة ليصبغ الدولة بصبغة عربية وقام بتنفيذها فى جميع الميادين الإدارية والاقتصادية . فعرب الطراز والنقود لإرضاء الشعور الدينى والسياسى للشعوب العربية والإسلامية وعلامة على استئناف الحرب مع الروم ودليلا على انتهاء الفوضى والاضطرابات السائدة والتى كانت تخول لكثير من الولاة وفئة المطالبين بالخلافة والعمال الثائرين حق ضرب النقود(١٤٠) . وبذلك تأكدت سيادة الدولة الإسلامية فى وجه أعدائها من الروم وفى وجه أحزاب المعارضة .

وأصبح الطراز بعد ذلك أحد شارات الخلافة الثلاث والتى كان لها دور خطير فى تاريخ الخلافة الإسلامية من الناحية السياسية والاقتصادية والدينية وهى : الخطبة والسكة والطراز .

ولأهمية الطراز أنشأ الخلفاء ديوانا للطراز ويعنى إن صح التعبير المعامل التى تنتج الأزياء الرسمية والأعلام والشارات والشعارات .

وكان الخلفاء لا يقلدون أعمال دور الطراز الخاصة بدولتهم إلا للثقات من وزرائهم ومواليهم إذ كان فى يدهم خلع الخليفة بمجرد حذف اسمه من شريط الطراز ووضع اسم آخر بدلا منه (١٤١) .

وبذلك كان الطراز أحد وسائل الدعاية السياسية الهامة التى حظيت بمكانة خاصة لدى خلفاء بنى أمية نظرا لما تتسم به من مقدرة على الانتشار بين قطعات عريضة من الجماهير داخل الدولة الإسلامية وخارجها . وهى أينما انتشرت تحمل فى طياتها اسم الخليفة وتؤكد سيادته وبخاصة أمام الأحزاب المعارضة التى كانت متأهبة للانقضاض على الخلافة الأموية والقضاء عليها فى أول فرصة تلوح لها .

٩- السـكة :-

هى الختم على النقود بطابع من حديد ينقش فيه اسم الخليفة أو السلطان . وهى لازمة للدولة وأحد شارات الخلافة ووسيلة من وسائل الدعاية السياسية . فمنذ أن قامت الحرب الأهلية فى أعقاب مقتل عثمان رضوان الله عليه وحتى عام ٧٧هـ وهو العام الذى ارتكزت فيه السلطة كاملة لعبد الملك بن مروان .. اشترك فى حق ضرب النقود كثير من الولاة وفئة من المطالبين بالخلافة والعمال الثائرين كل يسعى لتأكيد سلطته وإبراز سلطانه . وأبرز مثال على ذلك النقود التى ضربها عبد الله بن الزبير فى يزد سنة ٦١هـ . ونقش على دائرتها عبد الله بن الزبير أمير المؤمنين بخط بهلوى(١٤٢) .

وبعد انتقال الدولة الإسلامية من مرحلة الفوضى والاضطراب إلى مرحلة البناء والاستقرار . ولتحقيق الاستقلال الاقتصادى للدولة(١٤٣) . ورغبة من الملك فى إعادة حق ضرب النقود إلى الخلافة فى شخص الخليفة كمظهر من مظاهر السلطان والمركزية(١٤٤). وإرضاء للشعور الدينى والسياسى للشعوب العربية والإسلامية(١٤٥) والتى كان أكثر معاملاتهم بالنقود الفارسية والبيزنطية(١٤٦) . ولعدم ضبط معيار النقود المستخدمة وظهور تزييفها . وردا على الإمبراطور الرومانى الذى أرسل يهدد بنقش سب النبى صلى الله عليه وسلم على النقود كرد على تعريب الطراز أنشأ عبد الملك بن مروان دارا للضرب وأمر بسحب العملة فى جميع أنحاء الدولة . وضرب بدلها عملة جديدة من الذهب والفضة وذلك سنة ٧٧هـ (١٤٧). وبذلك أصبح الدينار الإسلامى ذا مسحة عربية خالصة بعيدا عن التأثيرات البيزنطية المسيحية لما فيه من عبارات إسلامية على النحو الاتى :-

مركز الوجه : لا اله الا الله وحده لا شريك له .

مركز الظهر : الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد .

الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

الهامش : بسم الله ضرب هذا الدينار سنة سبع وسبعين .

وكانت توجد على الدينار بالإضافة إلى هذه الكتابات صورة لعبد الملك بن مروان . وعلى الرغم من الخلافات بين الأثريين وعلماء النقود حول هذه الصورة وهل هى لعبد الملك كما ذهب الدكتور عبد الرحمن فهمى (١٤٩) أم أنها رمز يمثل خليفة المسلمين كما ذهب أرنولد وبؤيده زكى محمد حسن فإن ما يعنينا هنا ومن وجهة نظر الدعاية السياسية ما تحمله هذه الصورة من دلالات . فالرجل الواقف وبيده السيف علامة الإمامة عند المسلمين ورمز الجهاد فى سبيل الله ، أما اللحية التى لهذا الرجل فللدلالة على الالتزام بتعاليم السنة الإسلامية . ولما كانت هذه العملة هى العملة الوحيدة التى سمح بتداولها وسحبت كل ما عداها . فمعنى ذلك وحدة الإمامة وأن المسلمين لم يعد لهم سوى خليفة واحد تدين له الأمة بالولاء والطاعة .

وبذلك كان سك النقود من وجهة نظر الدولة الأموية ممثلة فى عبد الملك بن مروان مظهرا من مظاهر السيادة ودلالة قوية على أن السلطة قد تركزت كاملة فى قبضتها . كما أنها فى تداولها وانتشارها كوسيلة من وسائل الدعاية السياسية تنقل هذا المعنى إلى كل يد تحملها سواء انتسبت إلى الأمويين أو إلى الأحزاب المعارضة أو الى الرومان .